متعبٌ وجهُ المرايا

عنوان الكتاب: متعبٌ وجهُ المرايا
شاعر : مصطفى بدوي
قرأه وقدم له : د. فايز الداية
سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/195/ آذار/ 2024
الناشر: اتحاد الكتاب العرب
الإخراج الفني: وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني:mawkif@tutanota.com

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
ttp://www.awu.syh

متعبٌ وجهُ المرايا

شعر
مصطفى بدوي

قرأه وقدَّم له
د. فايز الداية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (195)

مصطفى بدوي
حكايات ترحال بين الأمكنة والكلمات

هل هذه سيرة أم حكاية ؟

كان لا بدَّ من كلمة قبل أن أقدِّم هذه الصفحات عن الشاعر مصطفى بدوي 1914 -1991، توضِّح العنوان، وما دوَّنتُه من سطور تضيء معالم شخصيته وشيئاً من فنِّه، فالباحث يُفاجَأ عندما يحاول تدوين سيرة بعض الأدباء الراحلين من المعاصرين بندرة المعلومات، وبعثرة في مواضع لا يتوصَّل إليها، أو بتضارب وتداخل أو بعض الأغاليط التي تربك البحث والكتابة المنهجية، ويعود هذا الباحث إلى أهل الأديب فلا يجد الكثير يعينه، وهكذا نشعر بالتقصير من النقاد والدارسين في حالات عديدة ممن عايشوا هؤلاء المبدعين، ولم يدوِّنوا علمياً بالوثائق ما يبلِّغنا الهدف، واليوم أقدِّم هذه الحكايات تمهِّد لسيرة الشاعر مصطفى بدوي التي تحتاج إلى مزيد من التقصِّي واستدراك التوثيق، والتراتب الزمني، والاطِّلاع على أعمال له لا

تـزال مخطوطـة، وقمـت بتجـوال فيمـا تـوافر مـن مقـالات في الصـحف أو المواقـع ومعظمهـا احتفـالي لا يقـدِّم المرجعيـات الدقيقـة، وهنـاك في شـبكة المعلومـات تـداخل بـين الأسمـاء المتشـابهة المتقاربـة، فنقـرأ اسـم الأسـتاذ والباحـث الجـامعي المصـري د. مصـطفى بـدوي، وكـذلك الصـحفي والأديـب مصطفى بهجت بدوي، وثمة شاعر أو أكثر في مصر والمغرب ممن يحملون الاسم، وتنسب أعمال لكل منهم متداخلة.

ربطتُ بين مواد في أوراق لم تُطبع من محاضرات قدَّمها أصدقاء للشاعر مصطفى بدوي بعد رحيله، وحوارمع ابنته السيدة منى بدوي التي أصدرت من إبداعها أربعة كتب من النصوص الغنائية النثرية، وقرأتُ أعماله الشعرية وكتاباً صنَّفه عن شخصية أدبية من مدينة الباب(مصطفى البابي)، وبعض المقالات الصحفية، فكانت هذه الصفحات التي أقدِّمها اليوم حكايات كلُّها مما كان في حياة الشاعر مصطفى بدوي وزمنه، ومما كان في نصوصه، لكن التراتب والتتابع جاء في حكاية تحتمل حضور ما ندعوه التخييل على أنَّه تصوُّرللحالات وليس إضافة، أو جموحاً يتناقض مع الحقائق، وهذا لون من ألوان ما يُقدَّم في مجال السيرة، ويظل الحوار مفتوحاً لإغناء أعمال قادمة.

1

كان الطريق وعراً وصعباً على القافلة الآتية من أطراف بلدة (تل أبيض) في الشمال من بلاد الشام في حوالي 1880، ويسأل رجل كبير في السن امرأة شابة ومعها طفل صغير: كيف تسافرين وحدك مع هذا الصغير؟ فتقول له بلهجتها التي حملتها من عشيرتها الأبوجرادة: أنا ما أرضى الظلم ومثل ما يقولون أرض الله واسعة، فيردِّد الرجل : صدقت أرض الله واسعة، وفي واحدة من المحطات الكثيرة دفع الفضول مسافرة ممن ضمت القافلة المتجهة جنوباً إلى وادي الذهب لتسأل بعيداً عن الأعين والأسماع هذه الأم المعذَّبة عن الأذى الذي أصابها، وكيف اختارت المصاعب ومقاربة الخطر في تنقُّل بين الأرجاء بحثاً عن عمل وعيش، وتتنهَّد الصبية وهي تروي القهر وما فعله الزوج الذي أهملها في سنتها الأولى، وتزوَّج بأخرى، فقررت أن يكون مصيرها بيدها، فقالت لها المسافرة: أخشى عليك.. هل تظنين حقاً أنك ذاهبة إلى وادٍ للذهب؟! إنه مكان غنيٌّ لكنْ ليس لنا نحن الذين نشقى في الحقول وتحت

الشموس.. دراهمنا قليلة ولا تكاد تعطينا كفافنا، فتجيبها الصبية: يكفيني أن أكون بلا قيود، وسأعيش من أجل هذا الولد، وكرامتي أغلى من نقود الدنيا كلها.

وصلت القافلة إلى بلدة (الباب) وهي التي ستغدو مع الأيام مدينة كبيرة، وغابت أم حسين كما صار الناس ينادون الصبية بين جموع الكادحين في الحقول التي ترويها مياه الفرات وأمطار المواسم، وعرف الولد لقباً ارتبط بهيئة أمِّه ولهجتها وقدومها من مناطق البدو.. لقد صار حسين البدوي.

2

لا تنسى شموسُ الأيام في دورانها هذه المرأةَ البدوية؛ فقد وجدت ملاذاً يسَّر لها ومن ثَمَّ لابنها العمل والعيش، ففي الباب كانت أسرة زعيتر الغنية بالمال والأرض والعلم والتي سيصل أثرها إلى الحفيد مصطفى بعد سنوات، وكان حسين البدوي عندما اشتد عوده تولَّى نقل المحاصيل الزراعية على الجمال من الحقول إلى مدينة حلب، ويبدو أن الجِمالة بإيقاع الإبل جعلته يحتفظ بروح البداوة، ولكن كما تحبُّ أمه، وبرز هذا في

رعايته لأسرة صغيرة كوَّنها باقترانه بصبية من (الباب)، فلديه ابنتان وصبي اختار له اسم مصطفى عندما رأت عيناه أضواء الحياة 1914.

يدرج الطفل مصطفى في البلدة بين الحقول والبيت تغمره سعادة البساطة والحبِّ، وفي سنته الخامسة ينتظم في الكتَّاب يقرأ السور والآيات، ويُؤتَى ملكة النطق السليم والحفظ، ويدخله أبوه في المدرسة الجديدة لكنَّ مَنْ حوله صبَّ في سمعه هواجس الخوف من هذا الطارئ على البيئة، فسارع وأعاد مصطفى إلى الكتَّاب فبقي زمناً، وحصَّل قدراً جيداً جعل أسرته تبحث له عن مهنة لمستقبل قادم، فكانت في دكان حداد في الباب أصوله من بدو عشيرة النعيم؛ هو محمد الحاج ربيع تعينه ابنته، فوجد مساعداً يخفِّف العبء، ويعطيه هو ما لديه من خبرة لأيامه الآتية.

تفاعل مدهش دار بين أحلام الفتى مصطفى؛ وقد غاب والده بموت مبكِّر كما أحسَّ هو وأسرته؛ وما كان في هذه البلدة الريفية تمتد حقولها، ويعيش ناسها في طقوس حياة مألوفة لها حدود تؤطِّرها، وتتشوف منها الأنظار إلى المدينة الكبيرة حلب.

صار الحمل ثقيلاً على الفتى في الدكان، وخاصة بعد أن لزمت ابنة الحداد البيت ولم تعد إلى المشاركة في أعباء العمل؛ فهي ازداد اقترابها من ملامح المرأة، ولا ينبغي أن تظهر على الملأ، وأول الثمار التي تطلَّع إليها مصطفى هي راحة يديه وساعديه من المنفاخ الذي يزيد اشتعال النار في الكور لتتحول قطع الحديد جمراً يلين تحت ضربات المطارق، وتغدو أدواتٍ تشقُّ خطوطها في الحقول وتعين البيوت في تدبُّر شؤون لها كثيرة، كان الجهد مرهقاً يهون ثقل المطرقة أمامه بسبب من رتابته وتكراره، وعندما يشكو في أحيان قليلة إلى معلمه الحداد تعبه يقول له : هذه هي أدوات الشغل، فهل أخترع لك ما يناسبك، كل الحدادين يعملون مثلنا، هذه هي مهنتنا التي ستطعمك الخبز، وهنا فَعَلَ التحدي فعله.. فثارت كلمات في داخل هذا الفتى لم تخرج إلى الملأ، ولكنها لم تهدأ : أنت المعلِّم لا تستطيع أن تخترع أما أنا فسأحاول وسنرى ما يكون.

تقول أم مصطفى وقد رأت شروده وتركه المائدة سريعاً : أنت متعب كثيراً ..اذهب إلى النوم حتى تنهض باكراً، فتأتي عبارة مفاجئة يطلقها الفتى: أريد أن أخترع .. تتحيَّر الأم ولا تكاد تدرك ما تعنيه كلمات الفتى، فتتخلص بقولها : بعد غدٍ هو يوم الجمعة، فافعل ما تريد فيه.. لم يعرف النوم طريقه

إلى عيون الفتى مصطفى، وتدافعت صور غائمة، وأخذ بعضها يقترب وفيه دوامات تدور والأيدي من حولها والعرق يتصبَّبُ من الوجوه؛ فنهض من فراشه وأخذ يجول في فسحة البيت السماوية، وكأنما هو يدور مع تلك النواعير الأرضية في بعض الحقول؛ أوتلك الشفرات المتسارعة في صندوق التذرية وهي تنقِّي القمح في موسم الحصاد والدرس على البيدر، وعندما رأى أمه تقبل قلقة خائفة أشار إليها أنه ذاهب إلى النوم، وقبل أن يغمض جفونه كان النهار قد أرسل أضواءه.

يلمح الحدادُ هذا الفتى وهو يقصُّ قطعاً من صفائح الحديد المهملة في الدكان، ويؤكِّد له الجيران في السوق أن مصطفى يبكِّر في فتح الدكان، ويسألونه : هل تكلِّفه بأشغال يقوم بها وحده قبل نهار عملكم؛ فيغمغم وهو لا يدري كيف يجيب هؤلاء الفضوليين، فلئن قال: نعم فهو يحمِّل الفتى فوق الطاقة، وإن قال: لا ، فيكون صاحب دكان لا يعرف ما الذي يجري، وهو في الوقت نفسه لا يريد لوم مصطفى .. وحتى لو أراد فعلى أي شيء يلوم؟، أرجأ التعليق إلى غده الآتي لعلَّ فكرة ليِّنة تخطر بباله ، فلا يريد أن يخسر هذا الفتى النشيط والأمين و.. الذكي.

اختصر الحداد جولته الصباحية التي اعتادها قبل الوصول إلى الدكان، فهو يحبُّ أن يتواصل بتحية الصباح مع كثير من أهل السوق، ويأخذ البركة من بعض كبار السن الذين عُرفوا بالطيبة والصفاء، وهيَّأ جملة أو اثنتين كي يكشف ما وراء هذا الفتى من تلك القطع وأصوات المعدن، لكنَّه فوجئ بشيء بجوار الكور، فاقترب تتملكه الدهشة فلم يسأل، وإنما كان يحدِّق؛ فيأتي صوت مصطفى: لقد اخترعت يا معلمي شيئاً يريحني ويخفف عنك ويسهِّل أمورنا، وهنا بادر وأخذ يحرِّك مروحة تدور بذراع معدني، وقد أشعل النار فتأجَّجت وسارعت بالتلوُّن الأحمر المتوهِّج، فلم يجد الحداد عبارة تسعفه في اللحظات الأولى، فربت على كتف الفتى مصطفى، ثم تتابعت عبارات الدهشة والإعجاب، وقال له: هيا إلى العمل عندنا طلبات كثيرة، ويبدو أننا سننجز المطلوب سريعاً، ولا تنس فنحن اليوم سنعود سويَّة لنتناول العشاء عندي.

لم يكن العشاء المميز الذي أوصى عليه الحداد هو الذي أسعد الفتى مصطفى، وإنما هي رؤيته لأمينة عن قرب بعد أن لزمت البيت تساعد أمها، صحيح أنهما كانا يختصمان في الدكان مرات ولكنه خصام يعبِّر عن حبٍّ خفي لم يدركا

بعدُ ألوانه، أو لم يعرفا كيف يتشكَّل، وفي هذه الأمسية أخذ يشعر بودٍّ من معلِّمه على نحو لم يألفه من قبل.

تعددت الحلول التي كان الحداد الشاب يجدها لما يصعب عند الحدادين في الريف، وصار ينجز إصلاحات ضرورية وعاجلة، ويخفِّف تكاليف نقلها الباهظة إلى حلب، ومن ذلك أن خزان التسخين الكبير لحمَّام البلدة تطلَّب معالجة لشرخ فيه، ولئن ذهبوا به إلى حلب لتعطَّل الحمام زمناً، فابتكر حلاً وأصلح العطب، ونَعِم أهل الباب بهذا الإنجاز، ولم يبخل مصطفى على أهل الحرفة ، فكان يعلِّمهم كل ما يعرف ويبتكر سواء كانوا من البلدة أو من مناطق الريف المجاورة، ولم تقف الدهشة فقط أمام ما يضيفه من جديد في دكاكين الحدادين، وإنما صاروا يستفيدون أعمالاً توسَّعت بها موارد الرزق، ومن ذلك غرَّافات الماء في النواعير التي صارت بفضل مصطفى البدوي تُصْنَع من الحديد بدلاً من الخشب الثقيل والذي لا يحفظ المياه جيداً، وكان هذا كلُّه يمثِّل خروجه من زمكانية راسخة منذ أزمنة بعيدة في سيرورة العمل في الحدادة، وكذلك أحسَّ بشخصيته؛ ومعلِّمُه يعتمد عليه ويثني على إنجازاته ويقول : مصطفى واحد من أبنائي.

3

هل حقاً يسكن الجن في أطراف البلدة؟ لم يكن الفتى مصطفى قادراً على الخلاص من تصوِّر يسمعه من الناس كباراً وصغاراً، وهم يؤكِّدون أن بعض الجنِّ ينشطون ليلاً حيث الكل في البيوت نيام أو يغلقون الأبواب بأمان، ومن يتجوَّل وحيداً في الطرقات سيكون هدفاً سهلاً تختطفه تلك المخلوقات ذات القدرات المخيفة، ولذلك لا يكفُّ مصطفى عن التلفُّت وقراءة بعض السور في طريق عودته إلى البيت فالمصابيح في زوايا طرقات الحيِّ الشمالي في بلدة الباب شحيحة الأضواء، ويحاول في مشيته المرتبكة أن يستحضر العون من تلك القصص التي كان يقرؤها في السهرة؛ والكل يصغي بل يقف أحياناً أو يرفع يده متحمساً؛ ولكن كيف يأتي إليه عنترة أو أبو زيد الهلالي أو الزير سالم؟ إنه يتمنى والأمنيات لا تسرع، بل يطول انتظارها، فيغالب هذه المخاوف، ويبقى أمامه الموقف العصيب.. فأمه قد تعاود تقريعه بل قد يناله منها عقاب شديد لا تغيب آثاره إلى اليوم التالي.. إنها تحبُّه فهل هذه الشدَّة من الحبِّ والحرص؟ إنها تبكي وهي

تعاقبه على تأخُّره والسير ليلاً في الطرقات الخالية، وهي تردِّد ألا يكفي أننا فقدنا سندنا ؟ فقدنا والدك.. أنت ستكون رجل الأسرة انظر إلى أختيك و انظر إليَّ، وهنا يحاول أن يجد حلاً فلا يقدر من الألم والحزن على أمِّه.

تنبَّه الشيخ صادق الغزال والشيخ عبد الله زعيتر والشيخ محمد القنبر وهم من شيوخ بلدة الباب مع المفتي الشيخ أحمد النعساني؛ وهم مثقفو تلك البيئة برصيد من اللغة والشعر مع جوانب فقهية؛ إلى هذا الفتى عندما كان يقرأ آيات قرآنية في المسجد.. صوت جهير ونطق سليم وأمارات ذكاء بادية، ولدى سؤالهم عنه أدركوا أن الإيقاع البدوي في تداول الكلام في الدار ترعاه الجدَّة الآتية من عشيرة الأبوجرادة في الشمال مع دروس الكتَّاب منحه هذه المزايا، فصاروا يستدعونه في سهرات تجمع القوم في مناسبات متعددة يقرأ صفحات من السير الشعبية، فعيونهم لا تقوى على متابعة الحروف في أضواء ضعيفة للقناديل أو المصابيح.

مضت سهرة من غير حضور للفتى مصطفى، فسأل الشيخ صادق عنه، وهل ألمَّ به مرض أو شغلته أمور ينبغي مساعدته فيها؟ فقال سليمان الذي يصحب والده وهو صديق لمصطفى: إنَّه لا يريد أن يزعج أمه التي تخاف عليه من الليل

والطرقات المظلمة بعد السهرة، فيقترب الشيخ زعيتر ويقول: أنا سأتدبَّر الأمر.

فتحت الأم باب الدار، فرأت أمامها الشيخ عبد الله يسلم ويبادرها: يا أم مصطفى ابنك أمانة في أعناقنا، وسيكون معه من يصحبه في المساء، فلا تخشي .. وابنك ذكي وسيكون له شأن عظيم، وهذا التردد والقراءة لا يعطلانه عن شغله في دكان الحدادة، فتقول له: عزيز عليَّ مرورك بنا ونحن معك ومع آل زعيتر عشرة عمر وشغل من أيام أم حسين وأبو مصطفى رحمه الله، ومادمت أنت الضامن فلن أخاف، وبارك الله في سعيكم، فتمَّم الشيخ زعيتر: على كل حال ابنك مصطفى ما شاء الله تتبدَّى ملامح الرجولة سريعاً عليه، تغلق الأم بعد مغادرة الشيخ وهي تشعر بمرورالزمن.. حقاً مصطفى تتبدَّل هيئته ويقترب من صورة أبيه شاباً فارع الطول ووجهاً فيه تصميم على مواجهة الأيام.

سأل سليمان صديقه مصطفى بصوت خافت، وهما في طريقهما إلى السوق صباحاً: لماذا كانت أمُّك غاضبة وهي تكلِّمك؟ لقد وصل الصوت إلى دارنا، ولكن لم أفهم ما الحكاية، فقال مصطفى: أحسُّ في بعض الليالي برغبة الكتابة لأشياء تتحرَّك في داخلي، هل تصدِّق كأنَّ جسمي

ينمِّل وأريد أن أهدأ، لكن لا أستطيع أن أضيء المصباح، فأمي حريصة على زيت الكاز فيه، وهو كما تعرف مرتفع الثمن، ولذلك أكتب بعض الكلمات على الجدار في الظلام، فضحك سلمان وقال: الآن فهمت، أمُّك ترى الحوَّارة البيضاء على الفراش، وترى الخربشة على الحائط، فعبس مصطفى وقال: ليست خربشة، فقال سلمان: ماهي إذن؟ قال مصطفى: هذا اسمه شعر، مثل الذي تسمعه عندما أقرأ في السهرات من أشعار المهلهل والهلالي وعنتر، فقال سليمان: أنا لا أفهم هذا، ولكن انتبه، فلا تكتب على الحيطان لأنهم يقولون، فقاطعه مصطفى: أنت ستقول مثل أمي: الحيطان دفاتر المجانين، ولكنِّي سأكتب شيئاً آخر.

قال الشيخ عبد الله وهو يفتح ورقة مطوية: ما هذه يا مصطفى ؟ مَنْ أعطاك إياها؟ فأجابه : هذه من عندي، لقد كتبت مثل المتنبي، فابتسم الشيخ عبد الله وهو يقول : مثل المتنبي!، فسارع الفتى مستدركاً : أعني مثل الشعر الذي أقرؤه في السهرة، وقد زوَّدني الشيخ صادق بقصيدة البردة للبوصيري، وأيضاً قصائد لأحمد شوقي، وأنا أردِّد الأشعار في السير التي أتلوها في الأمسيات مرَّات ومرَّات، ووجدت نفسي أقول كلمات تشبه تلك الأشعار، فقل لي لو تكرَّمت هل هي

جيِّدة؟ مرَّت عينا الشيخ على السطور وهو يهزُّ رأسه، واتجه إلى مصطفى: يبدو أنك بدأت تخوض في النهرالعظيم فراتِ الأدب والكلمات الطيبة، ولكنَّ الإتقان سيحتاج إلى جهد وتحضير أكثر، فقال الفتى: أنا كلَّ النهار أطرق الحديد، وأشكِّل الأدوات بمهارة كما يقول معلِّمي في الدكان، فقال الشيخ عبد الله: الجهد مع الشعر أصعب ويحتاج إلى صبر طويل حتى تمشي على الدرب الصحيح، وأوَّل خطوة هي أن تردد كل يوم الأشعار وسأعطيك ما لدي من دواوين واحداً واحداً، قال الفتى: لن أترك منها كلمة واحدة، وسأحفظها، قال الشيخ: وسأوصي مسافراً سيذهب غداً إلى حلب ليشتري لك من مكتبة عجَّان الحديد كتاباً سوف أتابع دراستك فيه، واسمه (ألفية ابن مالك) لأنَّ جملك لا تزال بحاجة إلى ضبط وتنبُّه، ولا يقوم جمال الشعر إلا مع سلامة الكلمات، فتلاحقت العبارات على لسان مصطفى وهو لا يكاد يتوقف: حفظك الله يا شيخي، وأدام عليك الصحة والعافية، وأنا رهن إشارتك، فقال الشيخ: وهناك أمر آخر، فقال الفتى: ما هو؟ قال: سأتحدَّث مع الشيخ أحمد النعساني ليتولَّى إرشادك؛ فهو شاعر له قصائد بديعة، ويعرف أسرار الشعر أكثر منِّي.

تقول الأم وهي ترى ابنها مصطفى يخطف لقيمات بعد يومه الطويل في دكان الحدادة؛ ثم يُكبُّ على دفتر بجوار القنديل: ماذا جرى حتى صرت مثل أولاد المدارس؟! يكفيك نحولاً لا أعرف كيف ستستطيع متابعة عملك؟ فيقول لها سأنهي التمرين، ثم أذهب إلى النوم، لأني سأمر بالشيخ عبد الله قبل صلاة الجمعة، فتنصرف الأم مع ابنتيها تجمع أطباق العشاء وهي تتمتم الله يستر! كلَّ يوم موَّال جديد بعد أن قلنا صار شاباً، وسأبحث له عن صبية ليتزوَّج!

4

يعلو ضجيج في المقهى القريب من باب الفرج بحلب، ويبذل مصطفى جهداً ليصغي إلى حديث عدد من أصدقاء أسعد الذي دعاه إلى زيارة المدينة، لقد تردَّد قليلاً إلا أنَّ إطراء أسعد؛ الذي يأتي إلى بلدة الباب لإنجاز أعمال فيها؛ وإعجابَه بأشعار الشاب الذي يحتفظ باللباس البدوي الريفي جعله يُقدم على هذا الخروج إلى فضاء المدينة الكبيرة. طلب عددٌ من هؤلاء المتحلِّقين حول الطاولة سماع قصيدة من شعره، ومع عبارات الإعجاب والاندهاش حسم واحد منهم الموقف بقوله:

ما رأيكم أن يحضر الصديق الجديد مصطفى الاجتماع هذا المساء، فنتعرَّف أكثر إلى أشعاره التي تبدو جميلة متناغمة بالموسيقا، ويمكن أن يرانا عن قرب؟ فنهض أسعد بين كلمات الموافقة قائلاً: لدينا أنا وصديقي مصطفى جولة في مكتبة الكيالي في جادة الخندق، وخان الوزير، وسوق المدينة، وسنلتقي في موعد الاجتماع.

قاعة في شقة واسعة بحيٍّ الجميلية؛ الجديد بالنسبة إلى الأحياء القديمة من مثل العقبة والقصيلة والفرافرة والبيَّاضة والجلُّوم؛ التقى فيها مصطفى ومجموعة من الرجال والنساء بودٍّ ظاهر، وأسمعهم قصائد مما يحفظه من أشعاره، وكلَّما توقف طلبوا منه المزيد إلى أن نهض أسعد ليقول: مارأيكم في أن ينضمَّ إلينا هذا الصوت الشعري، فجاء الرد بالإيجاب، وقام واحد من الحضور ليقول: مادام الأمر كذلك، فنريد أن يكون شاعرنا مصطفى صوتاً لمن يكدحون ويحتاجون إلى المساعدة لتصبح الحياة أكثر إشراقاً، فقال مصطفى: أنا ما قصَّرت في تقديم كل ما أستطيع لكل من حولي، وعلَّمت أصحابي الحدادين كل ما وصلت إليه من ابتكارات، وهم يستفيدون في شغلهم منه، فقال أسعد: يا صديقي اليد الواحدة لا تصفّق ولا ينبغي أن تكون وحدك.

وقف مصطفى في المحطة ينتظر الحافلة العائدة إلى الباب، كان مبكراً في حضوره، فقد قال له السائق سيكون الزحام غداً شديداً فهو الخميس آخر الأسبوع، فأسرعَ بالصعود عند قدوم هذه العربة التي لا تزال تدهش أهل الريف الذين ألفوا العربات القديمة تجرُّها الخيول، ولم يلبث عدد من أهل بلدته والبلدات المتناثرة على طريق السفر أن جاؤوا، وخُيِّل إليه أن سقف الحافلة لن يحتمل ما رُفع إليها مما اشتراه هؤلاء الريفيون من أسواق حلب. شَغَّل السائق المحرِّك بعد أن اطمأنَّ على امتلاء المقاعد، والممر بينها بالركاب، وكذلك على جمع مساعده الأجرة التي تتضمَّن ما على السطح من أشياء.

لم يستطع مصطفى أن يركِّز بصره على مشاهد الطريق من النافذة المفتوحة، فالأصوات تتداخل بين الركاب، وتختلط بهدير المحرِّك، وثمة روائح يجتمع فيها عبق بضائع العطارة مع بعض المأكولات، وشيء من الغبار والعرق يمتزج بها والصيفُ آخذ بالتسارع مع شهر تموز، فاستعاد تلك الكلمات التي سمعها في أمسية الاجتماع؛ فهي تتماهى مع هذه الوجوه التي انطبع عليها التعب والإجهاد: الطبقات والنضال والتقدُّم والكادحين والعدالة والجدل والرفاق، ومعها كلمة فَهِم منها ما جعله لا يسأل عنها.. الاشتراكية، وخمَّن

أن مجموعة الكتب التي قدَّموها له ستكشف شيئاً من دنيا هؤلاء الكادحين، وتراءت له مشاهد من المدينة سيعود ليراها في المرَّة القادمة، فهناك مسارح وغناء ووجوه حسان في صور على مداخلها، ولكن.. لن يقدر على ذلك إلا بعد زمن قد يطول، لقد وعد أولئك الأصحاب الجدد الذين كان لكلامهم وقع قريب يتناغم مع صور الحياة من حوله، صحيح أن العبارات تفاجئه لكنه يمسك بأطرافها فتتكشف له. المهمُّ في الأسابيع القادمة هو ترتيب الدكان في منبج فمهاراته يطلبها كثيرون والمزارع حولها تحتاج إلى الأدوات، وتلك البلدة عرفت نماء وتوسعاً مع أهلها ومعظمهم من الشراكسة الذين عمَّروها فازدهرت، وتوالت في تصوُّرات مصطفى خطوات واحتمالات لهذا المشروع المؤدي إلى أجمل أحلامه يطلُّ منه وجه أمينة.

وضع بين يدي أمِّه مواد العطارة التي طلبتها، ولم ينسَ الترابة الحلبية، وأعطى أختيه اللتين تحلَّقتا حوله ما طلبتاه من القماش بالألوان المختارة، وقال لهما: وهذه علبة الحلوى الحلبية لقد أمسكت بها طيلة السفر كي تصل بشكلها الجميل، وطبعاً طعمها مضمون فهي من محل مهروسة في الجديدة، وهذه المجلات والكتب هي حصتي من هذه

السفرة، فقالت أمُّه: طبعاً أنت تكون في البيت معنا، لكنك في الحقيقة دائماً رأسك في الأوراق والكتب، فقالت أخته الصغرى؛ وكانت فضولية تحبُّ سماع الحكايات: استرح يا أخي واحكِ لنا عن هذه السفرة ماذا رأيت هناك في المدينة؟ فقال: ليس الآن فلا بدَّ أن أذهب إلى صديقي صخر، لأننا سنذهب غداً إلى منبج، وهنا قالت أمُّه: ألم يكن أفضل لك أن يكون لك دكان في بلدتك قرب أهلك؟ فأجابها: لا يمكن أن أنافس معلمي الذي بدأت معه العمل منذ الصغر؛ فالزبائن قد يأتون إليَّ وقد اعتادوا على شغلي وطريقتي، فتابعت الأم: في هذه غلبتني يا مصطفى، هذا ما يفعله ابن الأصول، ويظهر أنَّ هناك سرّاً آخر، فضحك مصطفى وهو خارج وقال: عندما أعود سنحكي في مسألة مهمة، ادعي الآن يا أمّي أن تيسَّر الأمور، فتوالت الكلمات من قلب الأم المحبَّة.

أسابيع قليلة كانت كافية لتنتشر أخبار الحداد الجديد مصطفى البدوي في منبج، فهو يصنع أدوات متقنة تعرف طريقها إلى البيوت، وإلى الحقول والمزارع الممتدة، وإلى السوق ومرافق عديدة، كانت له قدرات لم يعهدوها من قبل، وهكذا رأى مصطفى أن الوقت حان ليلتئم شمله بتلك التي أحب.. أمينة، وفي زيارته القادمة إلى الباب سوف يحدِّث أمَّه.

ألِفَ بيتُ المعلِّم محمد الحاج ربيع زياراتِ أمِّ مصطفى، وهي عشرة عمر، لكنها هذه المرَّة أضاءت قلب أمِّ أمينة، فهي تراقب هذا الفتى منذ زمن، وتسمع من زوجها الكثير عن ذكائه وأدبه، وفي مرات لمحت شيئاً في نظراته إلى أمينة التي حكت لها عن أيام مساعدتها لأبيها في الدكان، واليوم يقترب ما تمنَّته: مصطفى يخطب ابنتها الغالية، وحملت الجملة التقليدية إيقاعاً يوحي برغبتها الكبيرة وثقتها بالموافقة: عندما يعود والد أمينة سأنقل إليه الطلب وإن شاء الله سيكون الخير.

رحَّب الأصحاب من الشراكسة وأسرهم في منبج بمصطفى وأمينة، وبعد شهور استطاعوا بموروثهم الطبي الشعبي؛ وطرقه التي جاءت معهم من جبال القفقاس في ديارهم القديمة؛ أن يعالجوا عارضاً أصاب أمينة فحال دون الحمل، فكانت بعد شهور فرحة قدوم الابنة الأولى منى، واطمأنَّ الأب باكتمال هذا الكيان الأسري، فازداد نشاطاً في دكانه، وفي أسفاره الحلبية التي تشعَّبت بين المقاهي ومن فيها من أهل الصحافة الناشطة بحلب صحفاً ومجلات، ومن الأدباء والشعراء خاصَّة، وأولئك الرفاق كما يريدون أن يناديهم في اجتماعاتهم، وأمسيات للطرب في مسارح استعراضية تتوالى

عليها وجوه وقامات بملامحها الأجنبية والمحلية أوالعربية، وأما الذي لا يغادر الأحاسيس والتفكير فهو تلك الأبيات التي تبزغ في كل زاوية وكل منحنى، وهو وإن سمع الإطراء والإعجاب يقول: هذه قرزمة تحتاج إلى المزيد، فحولي شعراء طبعوا دواوين ونشروا في الصحف والمجلات منذ سنوات، وهم تحفل بهم المجالس.. علي الناصر وعمر أبو ريشة وعمر أبو قوس وشارل خوري وعبدلله يوركي حلاق، وهناك أهل القصة على رأسهم شكيب الجابري ومظفر سلطان، وكتاب وباحثون من مثل سامي الكيالي وسامي الدهّان ويحيى الهاشمي وخير الدين الأسدي، وكل صباح وفي مفاصل الأسبوع تتوالى الصحف الحلبية بالعربية والفرنسية والأرمنية، فمن المجلات : الحديث والضاد والمعرفة والمسرح والسينما والطفل، ومن الصحف الحوادث وبرق الشمال والإصلاح والجهاد العربي والجمهورية والنجم الجديد والعالم العربي والعهد الجديد، فأنا أجول في هذه الأمواج وأرقب تكامل كيان أدبي أتقدَّم به للناس وأهل الأدب والثقافة.

5

واجهت مدرسة الصناعة بحلب مشكلة نقص الأساتذة في عدد من الحِرَف التي تُعنى بها، وتستقبل أفواج الطلاب الراغبين في تعلُّم مِهَني علمي، فلم تكن البعثات إلى الخارج ممكنة في أواسط الأربعينات من القرن العشرين لإعداد مدرسين جدد، فالفرنسيون لا يزالون يماطلون في استحقاق استقلال سورية، والتحرُّر من قيد استعمارهم الموَّه بمصطلح الانتداب، فنُشر إعلان يطلب أصحاب حِرَفٍ ليجروا اختباراً في حلب أمام لجان متخصصة ويعيَّن من يجتازه، فتقدَّم مصطفى بدوي وعُيِّن بوظيفة معلِّم حرفة الحدادة، وانتقل للعيش داخل المدينة بعد أن كان يأتي زائراً، وهنا ازدادت الأواصر بمن حوله، وظلَّت خطواته وأنظاره تتوزَّع في دروب ثلاثة، أولها مدرسة الصناعة والشباب المتطلع إلى المستقبل، وثانيتها دكان حدادة فتحها في جادّة الخندق وأطلق عليها تسمية تليق بالتطور في العمل وإطاره المكتسب من العلم والتطبيقات الحديثة .. لقد أعلن عن (المعمل) الجديد، والدافع المباشر كان تدبُّر العيش في المدينة، والوفاء بمساعدة الأهل

في الباب، وأما ثالث الدروب المفتوحة على فضاء فسيح فهو مجالس الأدب وحواراتها.

ظل مصطفى في حضوره المديني بحلب ذلك البدوي والريفي الذي لا يعرف أساليب المجاملة، وكانت ردود الفعل لديه تسبق ما تقتضيه المواقف من الحرير يُلَفُّ على القبضة قبل تسديدها. إنه يقرأ وتنفتح العوالم الأدبية والثقافية والفكرية، وهذا كلُّه يغني تجربته الشعرية، ويدخل بها إلى مسافات بعيدة وألوان مركّبة فيها الكثير من الجدَّة، ولكنه أحبَّ؛ مع ذلك؛ أن يبقى واضحاً لا يقبل الالتفاف والمداورة، فهو يُكنُّ للصعاليك ودّاً لما حفظوا من استقلال عن التقاليد ولما بذلوا بلا زيف أو رسوم الظواهر، وأحب كذلك الكلمة المتداولة في الثقافة الحديثة: (البوهيمي)، وهي تشير إلى التحرُّر والانطلاق وإن شابت الحالات غرابة مشهدية، فالمهمُّ هو القلب والرؤية العميقة الصافية، ولعله في تقاربه مع أصحابه الرفاق وعنوان الاشتراكية كان متوافقاً مع هذا الإحساس والسلوك.

التقى مصطفى بدوي في مقهى البرازيل بحلب بالشاعر عمر أبو ريشة، بعد يوم من افتتاح مبنى دار الكتب الجديد 1945 سأل مصطفى عمر وبجواره صديقه الصحفي حسين

الشعباني: هل قرأت قصيدة الأمير عبد الله بن الحسين الجديدة التي يقول فيها:

أحنُّ إلى وادي الشآم وما حوى

من الظَّرف والإيناس واللطف والمعنى

فقال عمر: قرأتها، وعارضتها بقصيدة هذه أبياتها، وأخذت الأبيات تتوالى حتى وصل إلى قوله:

فتى الهبواتِ السودِ هل من قصيدةٍ

يكون لها في كلِّ معركة معنى

فقال مصطفى لعمر: لماذا اعتديت على بيت المتنبي، فغضب أبو ريشة وترك المجلس وخرج من المقهى، وتبعه الشعباني يسترضيه، ورجع إلى الطاولة قائلاً: عجيبة بداوتك التي جئت بها إلى حلب، فقال: لم أقصد إغضاب عمر، وإنما تبادر لي قول للمتنبي، وأنا أقدِّر عمر وشعرُه رائع ومواقفه في مقارعة الفرنسيين معروفة وهو يعمل مع الكتلة الوطنية التي أسسسها الزعيم إبراهيم هنانو. وننتقل في لمحة إلى مشهد آخر في بيروت حيث التقى الشاعران بمناسبة تكريم الشاعر بشارة الخوري(الأخطل الصغير) 1961 فكانت مصالحة بعد ما يقارب عشرين عاماً.

تواصل مصطفى على نحو وثيق مع د. علي الناصر الذي جمع بين الطب والشعر والقصص والرؤية النقدية، ولم تقم فوارق طبقية أو إحساس بتمايز اجتماعي كما كان الأمر مع أبو ريشة المترف يتواصل مع شخصيات المجتمع والسياسة. بل كانت البداوة تجمع بينهما فعلي الناصر ترجع أصول عائلته إلى عشيرة بني خالد، وهي تتنقّل في بادية الشام، ولها صلات بمدينة حماة حيث يقيم بعض أبنائها من فخذ الناصر، صحيح أنَّ هذا الطبيب تبدو في ملامحه صرامة وخطابُه فيه شدَّة، ولا يُقبل على الآخرين بيسر، لكنه يحمل شخصية شاعر رقيق ومثقّف عرف الفرنسية والإنكليزية والفارسية والتركية، وقرأ ألواناً من آدابها، وكان هاجسه التجديد في الخطاب الأدبي العربي للدخول في الزمان الجديد، وعندما نسعى وراء هذه الصلة التي تفسِر كثيراً من معالم إبداعات مصطفى بدوي الشعرية نجد أنَّ دار الكتب الوطنية بحلب تحفظ ديوانين من أعمال بدوي كان أهداهما إلى علي الناصر، ونقرأ ما خطَّه بقلمه، فعلى ديوان (أوراق مهملة) كتب" إلى الطبيب الحكيم والشاعر الذوّاق علي الناصر لما له من فضل على العلم والأدب، ولما قدَّمه للإنسانية من خدمات. مع الاحترام.30 -9 -1954 "، وعلى ديوان (البعد الخامس)

كتب الإهداء التالي" إلى مشيِّد المدرسة الحديثة في الشعر، ومرسِّخ أسسها الشاعر السابر أغوار النفس الدكتور علي الناصر. مع بالغ احترامي وحبِّي. 10 -2 -1970 ".

نقل الصحفي حسين الشعباني صاحب جريدة(الحوادث) في صيف 1954 تساؤلات دارت في أوساط الأدباء بحلب، وذلك بعد صدور ديوان صديقه مصطفى(أوراق مهملة)، فبعضهم يسأل عن كثير مما سمعه من قصائد الشاعر ولا يجد له أثراً، وآخرون تعجَّبوا من قِصَرِ المقطوعات وأبياتها، وهناك من استغرب المساحة الكبيرة للمرأة في ديوان شاعر يتحدَّث في جلسات عديدة عن قضايا العدالة والفقراء. طلب مصطفى القهوة، وقال: حديثي طبعاً ليس لك، وإنما لتنقله إلى هؤلاء وأولئك عبر صحيفتك؛ فأنت كنت حاضراً العناء الذي حلَّ بي وأنا أُعدُّ وأختار ما سأنشره وأواجه به الساحة الأدبية لأوَّل مرَّة؛ لقد أردت أن أرسل للناس كلمات قريبة منهم، ولم أرصف الكلام الذي عايشته وتعلّمته من نتاج الشعراء قديماً، فالقضايا التي تثور هنا وهناك تفعل فعلها إذا وصلت دلالاتها مع الأساليب الجمالية، ورأيت أن أهل الأندلس قبل قرون بعيدة طوَّروا في موشحاتهم موسيقا البحور وشكَّلوها بطرق وأبنية كثيرة ومرنة في الموشَّح تسْهُل على الألسنة وتمتزج

بالانفعالات، وهنا في حلب نشَر الشاعر الرائد علي الناصر منذ سنة 1928 تجارب جريئة في التنويع الموسيقي إضافة إلى أداء نثري فريد في ديوان (الظمأ)، وقد خضت أنا تجربة سنة 1942 لكني أرجأت نشرها، وهكذا تجد في (أوراق مهملة) أداء موسيقياً في مقطوعات لا تملُّه الأسماع، وعوَّلت على صور جديدة وعلى أداء رمزي غير مخاتل، وكذلك أطلقت رؤى فكرية ضمن مواقف في الحياة، وفي علاقات البشر والدول التي تحتاج إلى يقظة الضمير الإنساني فيها، وأمَّا المرأة فالحكاية ليست أني أغرق برومانسية قصص المحبين، أنا لا أنكر حبي للجمال وتأثُّري بلمحات أراها وأعيش معها في أفق حلم، ولكن هل هناك مَنْ لا يعترف بأن المرأة هي المكمل الوجودي للرجل والأسرة، فاكتب يا صاحبي أن الأوراق المنسية هي دعوة إلى أن نرى موقع المرأة مع نفحات الجمال.

كان مفتاح النجاح في سيرورة حياة مصطفى في حلب أمران واحد هو أنه يتماهى ويتعمَّق ما هو فيه من عمل أو اهتمام، فلا يكون كمن يدخل مكاناً ثم يخرج منه. إنه يعيش متوهِّجاً في كل خطوة، فيصيب أهدافه في الشعر كما في معمله ومع طلابه، وفي ثقافته الاشتراكية وحركته حاملاً أفكارها، وأما الأمر الآخر الذي حقّق النجاح فهو أمينة التي

لا تكتفي برعاية الصغار وتدبير البيت وإنما هي حريصة تضبط الحسابات جيداً كيلا تحلّق بعيداً مع خيال الشاعر، فالواقع له مساراته.

يضحك صديق مصطفى وهو يقول: فعلاً أنت لا يمكن أن تبتعد عن بداوتك، فما أسهل تنقُّلك وسفرك، فأشار مصطفى إلى جيب معطفه وقال: جواز السفر هنا وأنا أحمله دائماً، وعندما تتاح فرصة لا أحتاج إلى حقيبة بل أنطلق لأرى الدنيا، فتابع الصديق المشاكس: ومن لا يعرف حكايتك الشهيرة عندما خرجت في الصباح لإحضارالبامية للغداء، فسافرت من السوق وغبت أياماً، وعندما عدت شممتَ رائحة المطبخ وعاتبتك أو .. لا أدري ؟؟ زوجتك فقلت لها: أليست هذه رائحة البامية، ففيم غضبك!! فقال مصطفى: هذا أنا.. لقد قبلتني أمينة بكل ما عندي، لهذا أمورنا على ما يُرام يا عزيزي.

كانت المشاركة في مؤتمر الشعوب الأفريقية والآسيوية بالقاهرة 1957 فرصة هامة، فقد التقى مصطفى بكثير من الأدباء من الأقطار العربية وبلاد العالم، وسمع وحاور الاتجاهات المختلفة خاصَّة أنه بذل جهداً ذاتياً لتعلُّم اللغات الأجنبية، وستنمو هذه الصلة في السنوات اللاحقة، وقام

بجولة لعدة أشهر مدعواً للتعرُّف إلى بلدان العالم الاشتراكي في بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبولونيا، وتذكُر ابنتُهُ منى البطاقات البريدية التي كان حريصاً على إرسالها تباعاً من تلك المدن البعيدة والجميلة.

6

قال له صديقه لا بدَّ من سفرك اليوم إلى أقرب مكان في الخارج، وبعد أن تهدأ العاصفة تعود إلى حلب، فقال مصطفى: صحيح أنني عادة أسرع في أسفاري لكنِّي الآن أحتاج إلى ترتيب أمور الأسرة، فتابع الصديق: حتماً قبل فجر الغد. وهكذا وجد مصطفى نفسه في بيروت، ولمَّا تمض من سنة 1959 إلا أيام قليلة، بعد شهور من قيام الوحدة بين سورية ومصر1958 التي استدعت قوانين وإجراءات جديدة في الإدارة والسياسة كان شطر من اليسار تصوَّر أن تأتي الخطوات فيها متأنية، ولكنهم وُضعوا في إطار سلبي، فاضطر عدد إلى المغادرة.

أمضى بدوي شهوراً قبل أن تصل زوجته والأبناء الثلاثة إلى بيروت، وكانت عانت مشقات قاسية ؛ فقدتْ بسببها طفلة صغيرة؛ فهو لا يكاد يتدبر عيشه، ولا دخل بعد انقطاعه عن مدرسة الصناعة يساعد الأهل في حلب، وبذل صديقه الباحث والأديب نديم مرعشلي الحلبي المقيم ببيروت جهداً فتجاورت الأسرتان، واستطاع الشاعر أن ينشر قصائده، وأن يترجم بعض النصوص، وعمل في بعض الصحف، وكان يعيش يوماً بيوم، ولكنه عرف مدى فسيحاً في هذه المدينة التي فتحت أبوابها للأدباء والفنانين العرب والسياسيين يبحثون عن ملاذ أو محطة في مسارات متقلبة في عواصم عديدة في زمن الحرب الباردة بين الغرب والشرق السوفييتي الاشتراكي.

يقول نديم مرعشلي لمصطفى: أراك غارقاً في جلسات المقاهي، وتذهب في كل اتجاهات الرياح في بيروت، فيجيبه: يا صديقي أريد منك أن تصحِّح بعض الكلمات، وأولها (غارقاً) فابتسم نديم وهو يقول: يا صديقي أنا أعيش بين المعاجم في الأوراق وأحبار المطابع، ثم تقول: صحِّح! فتابع مصطفى: يا عزيزي أنا أسبح.. نعم ، وبهذا يحملني الماء إلى موانئ وأرى منارات، ولا أغرق لأغدو بلون واحد يغلبني، انظر ههنا مجلة الآداب لصاحبها سهيل إدريس تصدح بالعروبة

وشعراءُ التفعيلة يغزلون الخيوط الجديدة فيها بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وبُلند الحيدري ونزار القباني وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي، وإلى جوارها (الأديب) المجلة التي سبقتها ويتابع امتدادها صاحبها الذي يطابق اسمه شخصيته: ألبير أديب، وهناك على ضفة أخرى أدونيس وأصحابه في مجلتي شعر وحوار: يوسف الخال وأنسي الحاج وشوقي أبو شقرة و فؤاد رفقة ومحمد الماغوط، وخالدة سعيد، ويحضر رعيل مختلف أحياناً فترى عمر أبو ريشة في زيارات آتياً من سفاراته، ومحمد مهدي الجواهري يلتمس هدأة في مساراته المتمردة، وخليل حاوي برؤاه البعيدة وطرائقه وأساليبه الملحمية، ويرسل سعيد عقل أشعاراً ونداءات لها عالمها، ويردد ألحان أفريقيا الصاعدة صديقي محمد الفيتوري، وحولي أصدقاء يتطلعون من الشعر إلى المسرح .. عصام محفوظ منهم، والفن التشكيلي الجديد يحمله فاتح المدرِّس.. أنا يا صديقي ألوب وأمسك مشعلي، فيختم نديم الحوار قائلاً: لقد غيَّرتَ مشعلك وصارت لك السطور الشعرية بدلاً من الأبيات والبحور!! فيطلق مصطفى عبارته قبل الدخول إلى عشاء الصديق: خطواتي تعرف الاتجاهات، والمشعل يظل أسلوب تنوير للتوصيل، وسيسجِّل

ديواني القادم حضوري في قلب المشهد الشعري العربي الآخذ بالحداثة خطاباً يتواصل مع الزمن والعالم ومستقبل نرنو إليه.

كان زوربا الذي قدَّمه اليوناني المعاصر كازنتزاكيس في روايته الشهيرة هو الاسم الذي اكتسبه مصطفى عند أصدقائه في بيروت، وخاصة بعد عرض الفيلم الذي أبرز الشخصية فيه الفنان أنتوني كوين1964؛ وكانت ملامحه وتفاعله في إهاب البدوي والفنان البوهيمي، وكذلك كانوا يرونه حاملاً سمات من شارلو المشرَّد في أفلام شارلي شابلن، وقد أرسل إليه صديقه عصام محفوظ نصّاً بعنوان:

زوربا البدوي

" بالإصبع الأوَّل يمسك الكلام
بالإصبع الخامس جلبابه
بالإصبع الخامس والعشرين راية السلام
عكَّازه ربابة مكسورة
خبَّأ فيها نايَهُ
زبيبةً، جراده

أصحابَهُ النيام

أحفادَه..!

في عينه تحترق الصحراء

تتطفئ

في عينه سحابةٌ خضراء

تتكئ ..

يدقُّ بابَ الشام

شراشفُ الخمر عن يمينه

والشايُ والتبغ وجند كسرى

يحتفلون بانكسار دينه

بقدمٍ واحدة يعبر باب الشام

أسأل أين بقيت قدمه اليسرى؟ "

وقد دوَّن البدوي هذه السطور على غلاف ديوانه الثاني(البعد الخامس) 1970.

يقول علي الناصر في أوائل سنة 1963 وهو يستقبل مصطفى بدوي؛ كعادته بعد أن يفرغ من مراجعات المرضى: أراك قلقاً منذ أنْ عدتَ من بيروت مع أن الأمور هنا تبدَّلت بعد

الانفصال عن مصر في أيلول 1961، وسمعتُ من بعض الأصدقاء أنك ترغب في الانتقال إلى دمشق، فقال مصطفى: فعلاً هذه نيَّتي وأخذت أرتِّب أموري في التدريس وفي الدكان/المعمل. توقّف الناصر قليلاً قبل أن يستأنف: أنا أخمِّن أنك ألفتَ حياة بيروت واللقاءات وألوانها وفضاءها الواسع، ولم تعد ترى حلب أفقاً لك، ولكن ألا تراني بعد كل ما عرفتُ من بلاد الدنيا آثرت البقاء في هذه المدينة؟ فقال مصطفى: استنتاجك صحيح، ونحن نرى أن كثيرين من الفنانين آثروا الانتقال من حلب إلى دمشق مع افتتاح التلفزة وإنشاء المسرح القومي فيها، وكذلك حدثت تطورات في السنوات القليلة بعد الوحدة في الصحافة والحياة العامة، ولقد جئت لأودعك قبل سفري مع الأسرة إلى دمشق، وسأكون هناك قريباً من بيروت، وبمناسبة بقائك في حلب سأقول لك رأيي فأنت حَرَمت الساحة الأدبية والفنية من أفكارك وإنتاجك المتطور والرائد لأنك لم تغادر موقعك هنا، ولم تتحرَّك كما فعل سامي الكيالي، بل عمر أبو ريشة، قال الناصر: هذا اختيار من طبيعتي وهو قدري.

7

رفعت أمينة صوتها عصر يوم من شهر نيسان 1970 تنادي مصطفى؛ وهي تمسِك سمَّاعة الهاتف؛ فاقترب فقالت له: عبد الوهاب البياتي من بغداد، وهنا تهلل وجه مصطفى وبادر: أهلاً أبا علي يظهر أنك وصلت إلى الديار، فجاء صوت البياتي: لا بدَّ لي من هذه العودة لأتنفَّس الهواء الذي غبت عنه، ولكن ما حكاية البعد الخامس؟ لقد قرأت تعليقاً سريعاً عنه، فقال مصطفى: لو أعرف أنك قريب منا في بغداد لأرسلت نسخة من هذا الديوان، لكن سأضعه غداً في البريد، فقال البياتي: أنا لم أصدِّق أنك نسيت المرأة فغابت عن هذا الديوان، فقال مصطفى: يا صديقي هنالك من يظنُّ أن كل دواوين الشاعر تسري على نسق واحد، وأرادوا أن يروا قصائدَ كما في ديواني (أوراق مهملة)، في الحقيقة ثمة قصيدتان كان تناول المرأة رومانسياً في(البعد الخامس)، ولكنها حاضرة في عديد من القصائد متماهية مع الوطن، فزوايا حضور المرأة وحالات التواصل والبعد والأمل كل ذلك يتصاعد من الحالة الذاتية إلى أفق واسع، فجاء صوت البياتي: كلام جميل، وهذا يفسِّر لي أيضاً غمز بعضهم أن مصطفى بدوي يذهب إلى التعميم أو

الهروب من التصريح، فلا يأتي على تفاصيل أو أسماء، فقال مصطفى: لقد أردت التعبير الرمزي لجماليات في بنائه من غير غموض، فمن يقرأ قصائدي لا يصعب عليه أن يرى من خلالها ما أعيشه وما يعيشه المتلقي العربي، فالأحوال أمامنا جميعاً ونحن نعيش زمننا المشترك، ومن يتأمَّل سيجدني في مواقف لي في اغترابي وما عانيت، وما كافحت من أجله سنوات طويلة، ولكن انصهرت المواقف في بعد إنساني يرى الآخرون أنفسهم فيه أو في بعض من جوانبه، فقال البياتي: أنا ازددت تشوُّقاً لأقرأ هذا الديوان، ولأرى المزيد من ألوان موسيقا التفعيلة، فقد كتبوا أنك لم تورد أي قصيدة بنظام البحور، فقال: يا أبا علي أنت صاحب إنجاز بارز في تنويع موسيقا القصيدة عبر التفعيلة، وهي تحرِّك أوتاراً معاصرة في أحاسيس المتلقين في أيامنا، فقال البياتي: أنا في انتظار (البعد الخامس) برموزه وتماهي تجاربك في آفاق مديدة، ولعلنا نراك هنا في بغداد، فقال مصطفى: ولنا لقاء قريب.

تنبَّهت أمينة إلى حيوية في حركة زوجها وهو يسألها عن معطف خفيف، وكان له تعلُّق بلونه الكحلي، فقالت: الخزانة أمامك، ولكن ما هذه الهمَّة في المساء؟ فقال: طبعاً فالنهار إمَّا مع طلابي في ثانوية الصناعة التي أجتاز للوصول

إليها دكاكين السوق العتيق في جانب حي سوق ساروجا؛ أو في المعمل أقصد الدكان، فسألت أمينة: وأين ستلتقي أصحابك، فالمقاهي كلها تعرف زياراتك البرازيل والهافانا فالكمال؛ وحتى ذاك الجديد كاردينيا فقال لها: هذه اسمها كافيتريا ومطعم، فقالت: أنت لا توفّر مكاناً، وسوف تذهب في الصيف إلى مقصفك المفضل على ضفاف بردى، تسمع الموسيقا والغناء وترى الوجوه الحسان! فقال: أنت لا تحبين الجلوس وسماع الأحاديث لذلك أذهب وحدي، فقالت: أولادك خمسة هنا ومنى متزوِّجة منذ سنوات وأنا لا أهدأ من أجلهم، ونحن اكتفينا من الشعر قصائد جميلة التفتّ فيها إلى مواقف للأولاد فصارت تذكاراً، فخرج من البيت يرسم خطواته نحو مقهى الكمال الذي يطل على شارع 29 أيَّار قريباً من بوابة الصالحية ولا يبعد كثيراً عن السبع بحرات.

اتجه مصطفى بدوي إلى مقر مجلة (الثقافة) بدمشق وهي على مقربة من نهر بردى الذي تطل عليه التكية السليمانية والمتحف الوطني وأرض معرض دمشق الدولي، وبادر صديقه مدحت عكاش الشاعر وصاحب المجلة بقوله: دار قديمة ومجلة تتطلع إلى المستقبل هذه حكاية لافتة، فقال له عكاش: دعك من هذا وأرني ماذا اخترت من قصائد

لديوانك الجديد فقد مضت سنوات منذ(البعد الخامس) نحن في 1978، واتفقنا على أنْ تطبعه دارنا هذه، ولعلك اعتمدت العنوان فقد أرهقتْنا الاحتمالاتُ في زيارتك السابقة، فقال مصطفى: نبدأ من العنوان :(مُتْعَب وجهُ المرايا) فقال عكاش: هذا جيد وعنوان معبِّر عن التعب المزدوج في الواقع وفي انعكاسه على المرايا، ولكن عسى أن تكون المختارات من جعبتك فيها بصيص الأمل، فقال مصطفى: بالتأكيد، فنحن إن حكينا وجعاً فلا بدَّ أن نتلمَّس منافذ للخلاص، وإن تكن تعبر ممراتِ الألم أو القلق.

قلَّب عكاش القصائد وزائره يشرب قهوته، وعينه ترى باحة الدار عبر شق الباب، ثم تنهَّد وقال باسماً: تأتينا من بلدة في الشمال ومن مطارق الحدادين، وتجعلنا نقف طويلاً عند دلالاتك تؤدي الواحدة إلى الأخرى إذا أمسكنا بمفاتيح رمزيتها، صحيح أن ههنا قصائد تعبِّر بوضوح جميل عن تفاؤلك ورؤيتك لإشراقات تغلَّبت على الآلام والعثرات، ومنحت الأمل وكانت بطولات الجندي العربي تعانق المواقع والأماكن، ولكنَّ عدداً من قصائد هذه المجموعة يحتاج إلى الوقوف لتعمِّق مساراتها، أقصد ما تعكسه من المسارات، ولعلَ شعر التفعيلة في توزيعه الموسيقي المتموِّج يكون من

عوامل الكشف لدى المتلقي، فقال مصطفى: لا أقصد إرهاق القارئ ولكن أود أن يقوم هو بإماطة اللثام، وهناك قراءات متعددة، وخاصة عندما تُطل المرأة، فقال عكاش: بعد أسبوع نراجع تجارب الطبع، وعليك مواجهة جمهورك، فقال مصطفى، وأنت أوَّلهم أليس كذلك!! فتابع عكَّاش: أنا أقول هذا مداعباً ، فأنت عايشت أطيافاً مختلفة من الشعراء ممن ضمَّتهم دمشق تحت جناحيها من جيلك شوقي بغدادي وسليمان العيسى وعبد الرحيم الحصني، وممن جاؤوا بعد ذلك علي كنعان ومحمد عمران وعلي الجندي وممدوح عدوان وخالد محيي الدين البرادعي، وآخرون ممن تتابع بعدهم ومنهم إبراهيم جرادي الذي تجمعك به الجذور في الرقة وتل أبيض في الشمال، وحسَّان عطوان.

اجتمع على طاولة المقهى مصطفى بدوي وشوقي بغدادي وصديق مشترك محبٌّ للدعابة بادر قائلاً: كما يقولون: جَمَّعَ ووفَّق، فقال مصطفى: وما الذي يستدعي هذا الكلام.. الأفضل لو طلبت شيئاً نشربه، فقال الصديق: أكون في حضور شخصيتين مرموقتين وأجرؤ على التقدُّم! فقال شوقي بغدادي: ولكننا من الكادحين ولا يخفى عليك، فقال الصديق: ومن لا يعرف، وكلاكما همُّه هؤلاء الكادحون في

شعره وفي الحياة، قال شوقي: لكن صديقي مصطفى خرج في عاصفة 1959 هارباً، وأنا علقتُ وأمضيت زمناً صعباً، فقال مصطفى: ومع ذلك أنت أمضيتَ في بيروت زمناً تعاني مثلي، فقال شوقي: وكلانا عاد إلى الديار، وهنا قال الصديق: الحقُّ يقال فأنتما متعلقان بهذا الوطن وناسه، ولم تستطع فضاءات العالم أن تشغلكما عنه، فقال مصطفى: الشاعر المبدع شوقي بغدادي درس في الجامعة، وخاض في الشعر والقصص ويكتب مقالات، وأنا حداد يطرق المعدن ويمسك بالكلمات، فقال شوقي: بدأبك وثقافتك كوَّنت شخصية مميَّزة، وأنا وأنت مثل العود والناي لكل سمات ولكنهما يعزفان النغم العربي وينوِّعان في مقاماته.

قال الصديق: ها قد حضرت القهوة لكما، وأنا أفضِّل الشاي، ويحقُّ لي أن أسأل عزيزنا شوقي عن رأيه في الديوان الجديد لمصطفى(عائد من طفولتي) ونحن في خضم 1985، فقال شوقي: أعجبني الديوان من عدة زوايا، فهو يعرض قصائد جديدة بعضها من نتاج الثمانينات، ونسمع إيقاعات الأحداث والرؤى، وكذلك ضمَّت الصفحات قصائد قديمة لم تُنشر من قبل، وتعطي أبعاداً إنسانية إضافة إلى شيء من تاريخ مصطفى في اغترابه الطارئ 1959، وفعلاً حرَّكت الشجون في

نفسي وقفاته مع مشاهد البؤس في: بائعة الياسمين ، وفي ابنتي والحرب، ولكنَّ قصيدة استوقفتني، وسررتُ بها، لأننا سمعنا من مصطفى مرَّات أنه كتب قصيدة التفعيلة في زمن مبكِّر، وهذه هي المرة الأولى التي تحضر قصيدته (تساؤل) وتاريخها 1942، وهذا يعني أنها وُلِدَتْ قبل ما قدَّمه السياب ونازك الملائكة1947 وهنا أسأل مصطفى: لماذا لم تنشرها في ذلك الحين، فقال مصطفى: أحبُّ أن أُذكِّر دائماً بريادة للدكتور علي الناصر في هذا المجال التجديدي منذ 1928 في ديوان(الظمأ) والمطبوع بحلب، وأمّا عني فلم أكن آنئذٍ أجرؤ بوجود شعراء لهم نتاجهم وحضورهم على هذه القفزة! وسأروي لكم سرّاً أرجو أن يقوم واحد بتدوينه في دراسة لأني أرويه من ذاكرتي والمرجع صعب الوصول إليه، فقال الصديق: ما هذا أبا حسين؟ قل لنا ما القصَّة؟ فقال مصطفى: لقد نشر عمر أبو ريشة قصيدة هي الأقرب لنظام التفعيلة، وأظن كان اسمها(بغداد) في مجلة الحديث التي كان يصدرها الأديب والمؤرِّخ والناقد سامي الكيالي بحلب، وأمّا التاريخ فهو على الأرجح قريب من 1940، ولكنه لم يجرؤ فيما يبدو على ذكر اسمه معها، فقال شوقي: طيب وكيف إذن تقول هذه لعمر! فقال مصطفى: القصيدة جميلة وأثارت فضولي، فقلَّبت

الفهرس فوجدت اسم عمر، فإمَّا أنهم في المطبعة غاب عنهم حذف الاسم بعد تردُّد عمر وإمَّا أنها طريقة لتخفيف وقع المفاجأة، فقال شوقي : هذه حكاية فعلاً، ولعلنا نتحقَّق منها، ونظر في ساعته وقال: تأخَر الوقت ولا بدَّ لي من الذهاب فإلى اللقاء، استأنف الصديق الكلام: لماذا لم تضع في هذا الديوان؛ ما دام يجمع تنوُّعاً؛ بعض قصائد أصدقائك في حوار معهم أو حادثة طريفة، وأظنُّ أن عنوان (مصطفى بدوي يعيش مرَّتين) يكون جذاباً ويسجِّل طرائف الأسماء المشتركة المتعاصرة، فقال مصطفى: أنت الآن تعيدنا إلى حالة مدهشة عندما قرأ الناس والأصحاب جريدة الثورة، وسمعوا من الإذاعة سنة 1970 خبر وفاة مصطفى بدوي، ثم رأوا هذا الراحل بينهم في اليوم التالي، فكان ما كان من المواقف العجيبة وظهر أن شاعراً أو مناضلاً فلسطينياً يحمل الاسم نفسه توفي، وسعدت بما قرأت من رثاء يدلُّ على حبِّ الأصدقاء، ولعل هذا ما خفَّف ما غرمتُه من تكاليف وفود جاءت في أكثر من أربع حافلات من حلب والباب للتعزية، ومن هؤلاء الأعزَّاء الذين فاضت كلماتهم بالحبِّ والذكريات الجميلة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة في قصيدة نشرها بعد ذلك في ديوانه(الخروج من البحر الميت) يقول فيها

تحت عنوان:

مصطفى الدمشقي

ألا من رأى مصطفى البدوي يغنِّي لأشجاره اليابسه
ألا من رآه يبيع القصائد في الحانة البائسه
ألا من رآه يصلِّي لريح الشبابْ
ويبكي على صفو أيَّامه.. مرمرتْ
وتولَّت كأيامنا اليائسه
ألا من رأى مصطفى البدوي يُقبِّل أيدي
النساء النساءْ
ألا من رآه ينام على الأرصفه
ويحكي عن القمح والأرغفه
ألا من رأى مصطفى البدوي ألا من رآه
فقد كان ـ رغم الشيب ـ حبيب الحياه
وقد كان دوماً إله
ألا من رأى مصطفى بدوي ألا من رآه

سأبكيكَ ما حنَّ طفل لشهوه
سأنقش وجهك في كل فنجان قهوه
سأبكيك ما لامست شفتاي الشراب
سأبكيك آه
سأبكيك حين أصير تراب.

8

لمح مصطفى بدوي في شتاء 1986عبر الزجاج الأديب وكاتب المسرح والإعلامي عبد الفتاح قلعجي الذي يأتي من حلب فأشار إليه، فأقبل قائلاً: مدهش يا أبا حسين صرت في مقهى فندق الشام الفخم وأرقامه العالية، وتركت سائر المقاهي الدمشقية! فقال مصطفى: ماذا أفعل؟ الأدباء وأهل الفن زحفوا إلى هذا المكان الجديد والأنيق، وأنت تعرفني أحبُّ ضجيج أصواتهم وسحب الدخان التي تظللهم أحياناً، فقال القلعجي: وأظنُّ أنك مثل ابن أبي ربيعة عيونك ترصد الحسان والوجوه الملاح رغم تخوم سنوات السبعين، فضحك

مصطفى قائلاً: البدوي لا يشيخ أبداً، وهنا انضم صديق من التشكيليين وقبل جلوسه أشار إلى النادل وطلب القهوة والكابوتشينو، ثم قال: اليوم أتممتُ صفقة ثلاث لوحات لي كانت معروضة في غاليري الفن الحديث، وأستطيع أن أنفرد دونكم بحاتم الطائي فالحساب عليَّ، فقال مصطفى: يا هلا بابن العم في مضاربنا في فندق الشام! ولولا بعد المكان لسقيناك ألبان النوق الهجان، فسأل الفنان: لماذا يا أبا حسين لم تتابع نشاطك مع الغناء؟ فقال له مداعباً: وهل تريدني أن أصدح بصوتي! فتغرم الإذاعة تكاليف إصلاح آلاتها؟ فقال القلعجي: أبو حسين لا يغيِّر عاداته فهو يحبُّ التعبير اللاذع ويبدأ بنفسه، ولكن فعلاً هذه نقطة مهمة، فقد غنَّى من كلماتك وأشعارك المطرب الدمشقي موفَّق بهجت أولى أغنياته وكانت سبباً في شهرته الواسعة وهي أغنية(عشقتُ في الأندلسية)، وكذلك المطربة الحلبية مها الجابري في أغنية (قنيطرة العرب)، وأغنية (غادرة)، وأخذ منك المطرب الحلبي سمير حلمي كلمات أغنية (مرَّ هذا اليوم)، فقال مصطفى: يا أصدقائي أنا لا أذكر إن كنت أخذت ثمناً لهذه الأعمال، وعموماً الثراء إن جاء فلمَنْ يغني أو ربّما ينال الملحنُ قسطاً من الربح، ولكن المؤلفين ينساهم الجميع، وحتى عندما تذاع

وتؤدَّى الأغاني لا يَذكرون إلا نادراً اسم مؤلفها ، لذلك لم أشغل نفسي بهذا المجال، فقال القلعجي: ولكن كان يمكن أن تؤلف الأوبريت أو ما يشبه ذلك، فقال: لدي مسرحيتان شعريتان بعنوان (جند الملك)، وهناك قصص يابانية للأطفال ترجمتها عن الإنكليزية، هذا غير مجموعة شعرية جاهزة، فقال القلعجي: لقد كرَّمك اتحاد الكتاب العرب بدمشق السنة الماضية 1985 ، فلماذا لاتطلب أن ينشروا هذه الأعمال؟ فقال الصديق التشكيلي: أنا سأجيب عن هذا: الشاعر مصطفى بدوي لا يطلب من أحد، وقد اعتاد على العطاء حتى درجة الإسراف، فقال مصطفى: إمَّا أن يُتاح لي نشر هذه الأعمال، وإمَّا أن يأتي يوم يتذكرني اتحاد الكتَّاب مع وجوه مُحبَّة، فنهض القلعجي وهو يقول: المركز الثقافي بحلب يدعوك لإحياء أمسية شعرية، وسأغتنم الفرصة ونسجِّل هناك حديثاً مديداً في إذاعة حلب، وقد أكَّد صديقنا مدير المركز أنَّه سيحجز لك غرفة في الفندق السياحي، وستكون الإقامة ممتازة، فقال مصطفى: أنا شاكر لكم الدعوة، فهي تعطيني فرصة لقاء المدينة التي عايشت فيها الأدب والفن وقلوباً خفقها يتناغم في سباق مع الزمن لتلحق بركبه الغني والمتعدد، وسأكون في الوقت المحدَّد، ولكني لا أحبُّ

حكاية الفندق هذه، فأنا معتاد على البساطة ولدي مكان في حلب فوفّروا أجرة الفندق، ونلتقي على درب الكلمات.

9

وقفت الصحفية الشابة في 23 -12 -1991 تطلب من الشاعر شوقي بغدادي كلمة بمناسبة وفاة الشاعر مصطفى بدوي، فقال: هذه صفحة من التاريخ تطوى برحيل صديقنا مصطفى بدوي، فهو صورة من تطلعنا إلى الأفضل، وخاض دروباً صعبة فأعطى نموذجاً فذّاً لتحدي الصعاب، وللارتقاء ولتجويد الشعر وللدخول في أطوار من الحداثة، ولم يكتف بالكلمات، ففي مراحل عرفته الأحداث مناضلاً يسعى نحو العدالة، وهو مع كل هذا وفيٌّ، وظلت بلدته (الباب) في خاطره، وتلبية لوصيته سيكون مثواه الأخير فيها، وقد أصبحت اليوم مدينة واسعة الأرجاء، ولقد لفت انتباهي أنَّ ديوانه الأخير (عائد من طفولتي) ضمَّ في مكان غريب بعض الشيء أبياتاً من عمق أحاسيسه، لقد قرأت على جانب من الغلاف الداخلي هذه الأبيات:

شـــوقي إلى (البـــاب) يُـــدنيني ويُبعـــدني

والشـــوقُ كالنـــار إن نـــاءَ وإن قَرُبـــا

لقـــد غرســـتُ بهـــا زهـــرَ الصِّـــبا شـــجراً

هـــل أورق العـــودُ أم عَـــرْفُ الزهـــور خَبـــا

إنـــي أعاتـــب أحبابـــاً شـــقيتُ لهـــم

كـــم مـــن محـــبٍّ علـــى أحبابـــه عَتِبـــا

فقالت الصحفية، أشكرك على كلماتك المضيئة، والكل يشعر بالحزن في هذا اليوم، فأضاف البغدادي: أريد أن أقول رغم ما يعتريني في هذا الحيِّز الزمني من حزن إلا أننا عندما سنتذكر مصطفى بدوي، ستعود ابتسامة لطيفة إلى وجوهنا لأنه كان محبّاً للجمال وأضواء الحياة .

مرجعيات

الكتب والصحف والمجلات:

1 - مصطفى بدوي، الدواوين:

- أوراق مهملة، مصطفى بدوي، دار النشر الحديث، حلب.1954
- البعد الخامس، مصطفى بدوي، دار الأجيال، دمشق 1970.
- متعب وجه المرايا، مصطفى بدوي، ط1 دار مجلة الثقافة، دمشق 1978 /ط2، خاصة دمشق 1986.
- عائد من طفولتي، مصطفى بدوي، خاصة دمشق1985.

2 - علي الناصر، الأعمال الكاملة الشعرية والنثرية، وزارة الثقافة، دمشق 2006.

3 -عز الدين المناصرة، ديوان :الخروج من البحر الميِّت، دار العودة، بيروت .

4 - أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر، ط2 دمشق 1983.

5 - سهيل الملاذي، الطباعة والصحافة في حلب، ط2 جامعة حلب2006 .

6 - عبد الفتَّاح قلعجي، مقالة تضمنت لقاء مع مصطفى بدوي تحدث عن حياته وآراء له، العدد 668 من صحيفة الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتَّاب العرب بتاريخ: 17 -7 -1999 بدمشق.

7 - علي الزيبق في مقالين تضمنا إشارة إلى مصطفى بدوي في الساحة الأدبية بحلب:

أ - حكاية الفكر في حلب، مجلة الأديب، سبتمبر 1957 ، بيروت.

ب - قصَّة القلم في حلب، مجلة الأديب، أبريل 1970 ، بيروت.

8 - موفَّق بهجت، حوار في جريدة الثورة، دمشق بتاريخ 3 -3 -2008 .

9 - أحمد بوبس، مقال حول أعمال سمير حلمي، موقع: أوتار، شبكة المعلومات العالمية.

المرجعية الشفهية والمخطوطة:

1 - كانت ابنة الشاعر منى مصطفى بدوي هي المرجعية الشفهية الأولى، روت لي في حلب حيث تقيم حينما دعوتها للمشاركة في الندوة التي أشرفتُ عليها في مديرية الثقافة بحلب لدراسة جوانب من أعمال والدها في 4 -5 من شهرتشرين الأول 2022 أطرافاً مما تتذكَّره من أحداث مرَّت بها أسرتها، أو مما سمعت من الأشقاء أو أصدقاء والدها، وقد زوَّدتني ببعض الصحف، ووصورتين لمحاضرتين حول الشاعر، كما سمعت من الأديب نذير جعفر بعض المواقف في حياة مصطفى بدوي.

2 -اطلعت على صورة محاضرة مدوَّنة في حدود خمس صفحات بخط صاحبها سليمان السلمان، وهو صديق مصطفى بدوي ورفيق نضاله كما أخبرتني السيدة منى، وضمت هذه الأوراق معلومات عن سيرة الشاعر من خلال المعرفة الشخصية.

3 - اطلعت على صورة محاضرة مطبوعة في ثماني صفحات ألقاها صاحبها محمد علي النعساني ، وذلك بتاريخ قريب من 2004 بحسب إشارات ضمن المحاضرة التي اشتملت على شيءٍ من السيرة وبعض الشواهد الشعرية، وذكر النعساني تواصله مع السيدة منى منذ 2001.

متعَبٌ وجه المرايا

هذا الديوان

أصدر الشاعر مصطفى بدوي هذا الديوان(متعَبٌ وجه المرايا) سنة 1978 في (دار مجلة الثقافة) الدمشقية لصاحبها مدحت عكاش، وهو الثالث في ترتيبه بعد ديوانيه: (أوراق مهملة) 1954، و(البعد الخامس) 1970، ثم عاود طبعه سنة 1986، ولم تُذكر دار نشر، ويرجَّح أن الشاعر هو من قام بإعادة الطبع، وذلك بعد نشر ديوانه الرابع(عائد من طفولتي) سنة 1985، ولمصطفى بدوي قصائد كثيرة نُشرت في الصحف والمجلات في سورية والعواصم العربية لم تُجمع بعدُ.

اشتمل ديوان(متعبٌ وجه المرايا) على ثمان وعشرين قصيدة، وهي على نظام التفعيلة في سطور، واستمر بهذا على الأسلوب الموسيقي المتطور الذي أطلقه في ديوانه الثاني(البعد الخامس) مغادراً قصائد البحور التي كانت في ديوانه الأوَّل(أوراق مهملة)، ولم تكن الطبعة الأولى مضبوطة لتتيح

قـراءة بحسـب البنيـة الموسـيقية الـتي تتفـاوت وحـداتها بحسـب جـوازات تصـيب التفعيلـة وخاصـة في أواخـر السـطور، وقـدَّمنا قـراءة؛ عـبر ضـبط كلمـات في النصـوص؛ في هـذه الطبعـة الجديدة تحاول تقريب التلقي مع تنويعات الشاعر لموسيقاه التي أرادهـا حاملـة رؤى حداثـة مـع الغـلاف ورسـوم تعبيريـة لـبعض القصائد من عمل فنانة تشكيلية لها تجـارب مميَّـزة هـي (ليلى نصـير)، وتبـدو رغبـة مصـطفى بـدوي في مواكبـة سميائيـة للكلمات في دواوينه، فكان للفنان محمود حماد حضوره في الديوان الأوَّل، والفنان مصطفى الأرناؤوط في الديوان الثاني، وفي الطبعة الثانية لهذا الديوان(متعب وجه المرايا) حضر الفنـان ممـدوح قشـلان، واكتفـى في الـديوان الرابـع برسـم شخصـي بلون واحد وخطوط تعبيرية للشاعر بريشة الفنان رولاند خوري.

بمقارنـة طـبعتي ديـوان (متعـب وجـه المرايـا) لا نلحـظ اختلافاً أساسياً ، فعدد القصائد بقي واحداً والإضافة التي تبدو في قصيدة(نهر الإبر) في آخرالديوان كانت مدوَّنة على الغـلاف الخـارجي في الطبعـة الأولى، وأضـيف إليهـا العنـوان، وثمـة بعـض السـطور القليلـة الـتي أضـافها أو عـدَّلها الشـاعر، وهناك تقديم وتأخير في مقاطع في قصيدة مردُّه خطأ طباعي لأن السـياق ينقطـع ويضـطرب بسـببه. وسـنلحق بالـديوان مـن

خلال الهوامش المواضع التي تمَّ فيها التعديل، ولم يتطلب الأمر تعليقات على النصوص، وإنما أشار الشاعر نفسه في بعض القصائد مفسِّراً رموزاً فيها.

إننا نضع الديوان أمام المتلقي، وهو فيما نرى أقرب إلينا في خطابه وأساليبه، ولعل النقاد ينوِّرون زوايا فيه ويقارنون بما قدَّمه معاصرو الشاعر، ومن يطلق أشعاره في أيامنا، وسبق أن تناول عدد من النقاد والدارسين جوانب من شعر مصطفى بدوي في ندوة عقدت بحلب في 4 -5 من تشرين الأوَّل 2022 ، وستنشر تباعاً ليكون الحوار حول الشعر في سورية أكثر تفاعلاً، فلا تغيب تجارب مهمة مع دوران الزمن المتسارع.

متعب وجه المرايا

مصطفى بدوي

النشور الواحد بعد الألف

عندما يهرَم وجهُ الشمس والأرضُ تغوصُ
تحت أشلاءِ العدمْ
والمجرَّاتُ تهاوَى
مثلَ أوراقِ الخريفْ
والمحيطاتُ يبابٌ
أبعثُ النورَ فتياً راقصاً فوق السرابْ
وأنادي، يا ركاماتِ البشرْ
بُعِثَ الكونُ جديداً وانتشى صدرُ الحجرْ

تلك حواءُ أراها خلعت ثوبَ الفناءْ
ومَضَتْ للنبعِ تُلقي جسداً ماساً.. تغنِّي
غُنوة هشَّ لها النبعُ تلقَّاها الفضاءْ

حلماً رفَّ بجفن الكون جفنِ الشعراءْ
حلماً أرَّقَ ليلَ الأنبياءْ!

ومضت ترسلُ للآفاق ألحاظاً تساءلْ
هل أنا وحدي بهذا الكونِ ملقاةٌ غريبهْ
أمضَغ الوحشةَ نيراناً وأفراحي كئيبهْ
وبصدري شَبَقٌ لو عانق هذا البحرَ غاضْ
وشوَتْ نيرانهُ الأسماك من هول الشُّواظْ
أأنا ربَّةُ هذا الكون ما ينفعُ كونْ
بصقيعِ الوحشةِ الجوفاءِ يجأرْ
لو كساني ألقاً ، درّاً ، رياحينَ وجوهرْ
لستُ أرضاه ولن أرضى أنا من ذاك أكبرْ!
كنت في برزخيَ المأنوس روحاً
وأنا الآن جَسدْ
نابضاً بالحبِّ أين الحب يا للهول واراهُ الأبدْ
ثم غابت بنشيجٍ صامتٍ هزَّ الوجودا

وتهاوى الدمعُ كالنرجس يسترحم جِيدا
ويواسي حلمةَ الثدي فتوليه الصدودا
ناثراً فوق عبير الجسم للحبِّ قصيدهْ!

***

هاتفاً في صدرها المشحون أشواقاً وذعرا
بعَث الماضي وأحلاماً وحبّاً كان بكرا
وشحَّته ذكرياتٌ نضحت شهداً ومُرا
هي ذي قصتها تروى مع الشاب المغامرْ(1)
كم أحبَّته حَبَتْه جسداً بالطهر كافرْ
يتلوَّى بين زنديْه شظايا ومرايا(2)
سُمُّها المنغومُ عذبُ الرشف ثجَّاج العطايا
وَهْو في نشوته اجتاز المجرَّهْ
صائحاً بالسابحات الزُّهر صرتُ اليوم حرا
ومشى الماضي شريطاً دافقاً نوراً وظلمهْ
وحناناً ناعماً كالعِطر من أحناء شاعرْ
صاغها شعراً مزاميرَ تراتيلَ سواحرْ

كم تغنَّى باخضرار الطرف والخالِ الخجولْ
واكتنازِ الشفتينْ
وفحيحِ الحلمتينْ
وبصدر ودَّ لو يصبح قبرَهْ
ليواريه عن الدنيا عن الأحلام عن وهْج المسرَّهْ
***
آه لو يأتي لأعطته الكنوزَ العسجديهْ
وحَبَتْه كلَّ ممنوعٍ ومرغوبٍ لديها
آه لو تعصِره في ساعديها
آه لو تزرع في كلّ مساماتِ الجسدْ
قُبَلاً كالنار تبقى عاصفاتٍ للأبدْ
آه لو تبكي على الصدر الحنونْ
صرختْ آهٍ.. وهل تنفع في هذا الأتونْ

همسَ النبعُ بأذنيها
استدارتْ

شهقتْ
صاحتْ
أيا..
خانها النطقُ هوتْ
أغمضتْ عينيها بكتْ
تمتمتْ
ألفُ كلا.. ألفُ كلا
إنَّ هذا لن يكونْ
وأنا أرمُقها كالصقر في أنظارِ عاشقْ
صبرُه شحَّ ـ استحالْ
نفساً صعبَ المنالْ!!

***

الهجرة في دمشق

أهدي هذه القصيدة إلى الدكتور رياض رحمو ثقة مني بحبه وصدقه وإخلاصه

هجرتي فيكِ كالهروبِ من الظلْ
لا لن يؤوب المهاجرْ
جسدي مترف الحكايا
عن الحبِّ والجزر الموجعهْ
عن الطيرِ والزهرِ عن تمتمات الندى
والحنين
أنسيتِ الهوى؟!
وطعمَ عطاياهُ
وأوغلتِ في الظلام المغامرْ

قسوةُ الليل كالرحيق استباحتْ
كبريائي وأرَّقتني المشاعرْ
ليتها رنَّحتْ جدائلكِ الخضرَ وألقت على
الشفاه الغدائرْ
هجرتي قُدرة الرياحِ على العصف في
الصخورِ الأوابدْ
أنا لولا الهوى
تعبتُ انتحارْ
وتوشَّحت بالوصايا العشر ذليلاً على
حدود الطهارة.
من يفوق الأذى؟
هو الحبُّ أعطى للزهور النضارهْ
امنحيني الرضا
أنِلْك مسراتي سنابلي ونبيذي
امنحيني لواعجَ النزوة المثلى
وكوني نشيدي.

وقليلاً من الحنانِ
أنمِّيه بالدلالِ الأكيدِ
صلتي أنتِ
بالزمان تراتيلي توجُّعي أمنياتي
صلتي بالإله
فيضُ عطاياك تبتُّلي صبواتي
امنحيني الرضا
تباركتِ
هزّيني
فمريمُ في بنانكْ
والمسيح العظيمُ
يُحيي الملايين
بلفظةٍ من لسانكْ
تتبارى الفصولُ
حبّاً بعينيك
وتزدهي من جنانكْ

هكذا
تُزهر الشموسُ إذا ابتدرتِ حنانا
جاذبيني الهوى
جحيماً من العصف لا
لا لن أطيقَ الجنانا
واعقدي سرَّةَ التمازج عَرّي السرَّ
عَرّي الليلْ
شَرفُ الليل أن تعري سرَّهْ
ودعي حبَّ من تلفَّع بالزيف دعيه دعيهِ
يمضغ قهرَهْ
واصعدي
سُدَّة الخلود على قلبٍ يرى سمُّوَكِ قدرَه
موثق فيك لا المذلّة تعروه ولن يقاومَ
أسرَهْ.

***

اللحظة الشرسة

هذه اللحظةُ نصلٌ أزليْ
غاص في صدري الطعينْ
لا يَعي ما يصنعُ
وأنا كالحمَل الضائعِ
والذئبُ معي
يملأ الخوفُ حنايا أضلعي!
عجباً ما الغاية من هذا السرابْ
يتحدَّى مقلتي
لامعاً كالماس يقتات دمي
والحصا حشوُ فمي
الثواني كالعصافير تطيرْ
تزرع الصوَّان في جسم العصورْ

لم أعد ذاك الدعي
طالما ناديتُ مزهوَّ النداءْ
أي شمشونٍ رجيميّ السواعدْ
قادراً أن يقتلعْ
شعرةً من مفرقي
نافخاً أوردتي في نزقٍ!!
فأنا رغم انسحاق الذات صمتٌ يجأرُ
ونشيجٌ ما وعتهُ الأعصرُ
رغم ما بي من مجاعات أغنّي
عذبةَ السمِّ كما لا لم أغنِّ
لستُ هوميرَ ولكنْ بحَّة الناي
وموّالُ الرعاةِ
بدوياً يحصد الشارعَ كالريح ويطوي
سِيَر التاريخ عبر اللحظاتِ
كم تحمّلتُ مآسي البشَرِ
ولكم قارعتُ ظلم القدرِ
واكتويتُ

مزقت جبهتي الشمّاء سكّينُ الضغينهْ
وبراءاتي اجتواها العهرُ في كهف الجريمهْ
لست واللّه لقيطاً أو جبانا
إن أكن ذاك فما ذنبي أنا
أحمل العارَ وأمشي
خافضَ الرأس مهانْ
أنا توقٌ وانعتاقٌ وحنانْ
وأنا شطٌّ أمانْ

امنحوني اللحظةَ الحُبلى فأغْنيكم جميعا
وارقصوا فوقَ ضلوعي
فأنا مازلتُ ألوي القين رغم الشيب رغم الاندحارْ
وأنا لستُ محارْ
فارغاً ألقى به البحرُ حزيناً كالشجى
الثواني العسجديّهْ
نحن حوّلنا غناها
قرفاً مزَّق أكباد الصخورْ

وأنخنا ظلنا المجدور يمتصُّ رؤاها
فنبت عنا احتقارْ
يا لبؤس اللحظة الرّياء من وهج الطفولهْ
قُتلت عمداً بلا جرم تلاشتْ كالصدى
في تجاويف المدى
الرصاصْ
لغةُ الكونِ فكونوا كالرصاصْ
وأزيلوا اللعنة الرعناء[1] من وجه الحياة
وإذا كنتم أباةً
لا تريقوه لهيباً في دمي
ينفث الحقد الذي ربيتموه فنما
أفعوانيَّ السجايا
يزرق السمَّ ضحوكاً راقصاً عبر الخلايا
حوِّلوا نهر الليالي الظالمهْ
نحو شطآن العدم

(1) اللعنة الرعناء: يقصد بها الشاعر إسرائيل.

واطْلقوا الأطيار للنور تغني
واغرسوا هذي القممْ (3)
بلحاً، قمحاً، أزاهيرَ، نوافجْ
أوقفوا زحف الألم
وأعينوا المُهرَ[1] بعد الكبوة الكبرى فما زال بهِ
شَبَقُ اللوزةِ للنور السجين
لم يعد يا زهرةَ اللوزة مهراً من خشبْ
أنكرتْ ذكراه طروادة كلّ البَشرْ
وانتضى الإغريقُ سيف القدَرْ
راعفَ الشفرة من وهْجِ الطفولهْ
يتحدَّى كلَّ أبطال البطولهْ
والبطولاتُ التي كانت كآباد الأبدْ
فَرطت[2] ذابت كما يفرُط في البحر الزبدْ!!

***

(1) المهر: يقصد به الشاعر الجيش.
(2) يقصد الشاعر أسطورة التفوق الإسرائيلي.

رسالة

إلى الدكتور غولد فالدهايم(4)

يوشك العالم أن يَهوي إلى القاع وفي القاع النهايهْ
أيها المدمن حبَّ الأرض قلْ للأرض غايهْ
توشك الأزمان أن تنسى مداها
وارتعاشَ النبضةِ الممراح في البحر العظيمْ
وتفاصيل عن البدء وأسرارِ الخلايا
وعن اللوثةِ في هذا السديمْ
عن وجوهٍ شوَّهت صفوَ المرايا
عن عتوٍّ وجحودٍ ويقينْ
عن صراخِ الحبِّ في نسْغِ المشاعر
عن أنين الطهر في أعماق عاهرْ
أيُّها العالمُ المقهور صمتاً وانتحابا

أيُّها الحالمُ بالماء وترتاد السرابا
أيها المصلوبُ عَزِّ الموتَ واللحظةَ دهرا
أيهذا القاتلُ المقتول أفزعت المجرَّهْ
عجباً واللعبةُ تمضي وجحيمُ القهقهاتْ
مزَّقَ الصخرَ وساد الليلُ صبحَ الذكرياتْ
وتهاوت عزماتٌ واستطالت عزماتْ
ليت من سنُّوا نظام الكون ما سنوُّه ظلما
ليتهم سنوَّه كالوردة أفراحاً ونُعمى
ناضحاً بالعطر بسّاماً كأحناء الطفولهْ
ساخراً بالكُفر بالإيمان بالمُثُل النبيلهْ
ليتهم ما عرفوا اللون وأعطوه المعاني
فغدا اللون مُهانا
وشجاعاً وجبانا
ما على كل المعاني المستحيلهْ
في ضمير الكلماتْ
لو أراحت كاهلي

وأرتني وجهها المنغومَ لو في العمر مرَّهْ
وغدا الحرف كأحناء القنابل
لتوشَّحتُ به
ورجوتُ الكرهَ أن ينساب من كل المفاصلْ
وسللتُ القهرَ بالإشفاق من صُلب الليالي
ونثرتُ الحبَّ في صدر الخمائلْ
غرداً كالطير مسفوحاً على ثغْرِ الأصائلْ
قلتُ لمّا طوَّح الشكُّ بعصف الكلمهْ
أيها الحرف تمردْ
وامتطي الريحَ وبالأفق توسَّدْ
واحمل النيل بيمناكَ إلى كلِّ الصحارى
وفراتَ العربِ
وامزج القوَّة بالقوةِ في عزم نبي
كنتَ لمَّا برعمَ العقلُ انبثاقَ الكلمهْ
في ثنيّاتِ الشفاهْ
كنتَ أحلى هينمهْ

أطربتْ سمع الإلهْ
أيُّها الحرف تمردْ
كن رصاصاً في صدور الغاصبينْ
كُنْ جحيماً في قبور المجرمينْ
آن للفكر الذي أغنيتَه أن يتجدَّدْ
وإلى عالمكَ الجبار يصعدْ
أن يخطَّ الملحمهْ
مرَّة أخرى ويحيي الجُمجمهْ
عاتبتْني الشمس وللشّمس عتابٌ مستحبّ
أيها الشاعر مَنْ أَلْهاكَ من أغواكَ عن خلق الملاحمْ
وعن الغوصِ بأسرار الوجود المدلهمهْ
قلت لما بيعت الوردةُ
سِيمَ الحبُّ
سِيمَ الشعرُ
صار الشعرُ وصمهْ
هكذا بيعت شعوبُ الأرض اغتِيل النورُ في مهْد القداسهْ

خصميَ القاطنُ في قلبي يُشيع الذعر هل للذعر قلبُ؟
أبداً يا شمسُ لا
أبداً يا أرضُ لا
ليس للغاصبِ قلبُ.

***

أغنية القدس

بكل انعطاف الرؤى إليكِ
أرى المستحيلَ
هو الحبُّ أجترح المعجزهْ
وأسبر غور الزمنْ
وأقتات بالأمل المرتجَى
وأصعد نحوكَ نسراً عزيزَ الجناحِ
أنا الوجدُ والتوقُ والذكرياتْ
توغَّلتُ في الجرح مني
وأسرجتُ نحوي الرياحْ
وأترعتُ عينَ الفضاءْ
توجُّسَ راعٍ بمأسدةٍ باللظى تكتوي
طريدٌ بإصبعه يحتمي

تمطَّى بي الكِبْرُ مزَّقَ صدري
توسِّدني الحزنُ عاماً فعاما
يكابرني اليأسُ.. لا..
دعِ اليأسَ يأكلُ بعضَ الأحبّهْ
أنا الباذلُ الروحَ هذي يدي
وهذا جناحي
وصوتي الذي ما احتواه المدى
رجوتكِ
يا سِدرةَ المنتهى
بذلتُ لك القمحَ والأوردَهْ
ورحتُ أصلّي.. أصلّي
أرشُّ التعاويذ فوق الحصا
لعل السبيلَ إليك تلين
وينبضُ بالحبِّ قلبُ الصفا!!
***

على ذروة المستحيل

إلى نسورنا في ذرى جبل الشيخ

على ذروةِ المستحيلِ
استراحَ بك المجدْ
وعيناكَ عبر الفضا غاصتا
وفي راحتيكَ
تضرَّم للساح شِدقُ الحديدِ
وحنَّ الرصاصُ
إلى زغردات الخلودِ
إلى النصر للعزّة السامقهْ
إلى معطياتٍ تبزُّ عطاءَ الوجودِ!
على ذروة المستحيلِ
تداعب بالمهجة النابضهْ

بكل اندلاع الهوى
براعمَ حلمِ
سهرنا عليه الليالي العصيبهْ
بذلنا له مِنْ ضلوع خضيبهْ
بلاسمَ أتراحنا القاتلهْ
تباركتَ يا صانعَ المعجزاتِ
تباركتَ يا منْ مهرتَ بدفءِ الدماءِ
ترابك يا مفرداً بالعطاءِ!
على ذروة المستحيلِ
تصديت للشرِّ شرِّ الدخيلِ
وأخرستَ منه الفحيحْ
وغطرسة الفاجر المستبيحْ
فشُدَّتْ إليكَ عيونُ الشعوبِ
وكنت تخوض اللظى
بعزم النبيينَ تُردي الأساطيرَ تسلب منها القُوى
علوتَ على الريح تهزمِ رعداً ونار

وناديتَ يا عارُ هيّا ارتحلْ
فماعاد شعبي يحمل عارا!
على ذروة المستحيلِ
وقفت بنبلِ الطفولةْ
خجولاً ونحن الفرحْ
نمجِّد فيكَ سموَّ البطولةْ
سمّو القشاعمْ
سمواً تصاغَرُ فيه الملاحمْ!
على ذروة المستحيلِ
عرفنا بك الصبر صبر الرواسي
لحرب تروّع حرب البسوسِ
وتخجل طروادة الباسلةْ
وإلياذة الشاعرِ اللوذعي
وأوديسة العودة الفاصلةْ!
أنا مَنْ أنا يا أجلَّ الجنودِ
أنا شاعرٌ متعبٌ كالعياءِ

تراميتُ ألثمُ منكَ الجراحْ
وأجدل في قلبِ طفلي وقلبي
أكاليلَ حبٍّ بعمقِ الفضاءِ!
تكونُ لرأسكَ تاجَ الولاءِ

***

دمعة إلى القنيطرة

لو تنفع الدموعُ يا ندية َ الجراحِ
بكيتُ حتى تصبحَ الدموعُ
ملامحاً حروفُها من الرصاصِ
ويصبح التوجعُ الدفينُ مارجا
وتزهر الغصون بالحرابِ
مؤرَّقٌ أغصُّ يا حبيبتي بالشوكِ بالشجا
مؤرق وطيفُك الممتد كالأزلْ
ما غاب عن حشاشتي
لن أستعير النوم مِن محاجرِ القطا
لن أستضيفَ الفرح الوهمي في دمي
لن تمضغ الذئابُ صبوتي
لن يطرق النسيانُ ساحتي

أنا الذي أجترح المآثرْ
لن يسكن الطاعون مهجتي
معذَّبٌ هذا الذي توسَّد اللظى
معذَّبٌ يا عذبة الأثداء واللمى
معذَّبٌ أنا ابنك الموسومُ بالعطا
معذب يُهدي لك الخلود بالدمِ
بالرمق الأخيرِ
يا لهفة المراح والمصيرِ
أكتب إليكِ يا حبيبتي إليكِ دمعتينْ(5)
أبث فيهما
لواعجي تعبُّدي
لوجهك الطعين بالدمارِ
ما عاد صوتي هامساً بالآه بالنشيجِ
ما عاد صوتي راعشاً
بالجرح بالأنين
نحن هنا يا فتنتي قلبان ينهضانِ

فؤاد أمٍّ وأبٍ بشعلة الحنانِ
نحن هنا أنشودة غنَّاها هذا الكون في الضحى
نحن امتزاج الروح والجسدْ
نحن امتداد الفجر للأبدْ

***

إلى الجندي العربي

ألوبُ على المعنى الذي لم يقل
على الأحرف البكر أجدل منها
قصائدَ حبٍ لجبهتكَ العاليهْ
لجرحكَ هذا الذي ينزفُ
لقلبكَ هذا الذي يرعفُ
على شامخ من أثيل الثرى
ثراك الذي جرحته الخطوبْ
فيا مُطعِمَ المهجة الخافقة
بكل امتداد الهوى
لنهرٍ من المارج الحاقدِ
أجلُّكَ يا أيها المنتصرْ
أجلُّكَ يا أيها المندحر

أجلُّ رمادَ الحديد اللصيقِ
على مقلتيكَ
على كتفيكَ
أجلُّك ألفاً تجرُّ حبالَ التعبْ
وتحمل أعباء محو الجريمهْ
فيا فارس المعركهْ
ترى تبلع النصل يا فارسي
عرفتكَ دوماً تحدي النصالَ
بصدرك بالمقلة الباصرهْ
فإن كنت حقاً تئنُّ
فهذا أنين الغضبْ
وهذا أزيز اللهبْ
عرفتك.. لا.. لا
فما زالَ فيك مجاهيلُ تروى
تبزُّ الأساطيرَ
تسخرَ منها

فمثلك لا يعبأُ
إذا جرَّحته الظنونُ
ومثلك لا يهدأُ
إذا صارعته المنونُ!

***

إلى روح الطيار الشهيد
فايز منصور

لو أنّني يا ساحرَ الأجواءْ
لو أنني يا ساحقَ الأعداءْ
أكتبُ في محاجري
أحفِرُ في أظافري
فوق الصخور السمرِ
أنزح ماءَ البحرِ
ألوك قهرَ القهرْ
ألبث ألف عامْ
أقتات شيح العمرْ
لم أعطك المزيدْ
من شرف يا صانع الأسودِ

لو أنني يا أنبل الرجالِ
أذيب هذا القلبِ
أزرع كل دربِ
ملاحماً يحترق الخيالْ
من دونها ويصبح المحالْ
ألعوبةً يلهو بها الأطفالْ
لم أعطك المزيدْ
يا محزن الأجواءِ
لو كنتُ هوميروسَ والقيثارْ
مرافقي في الليل والنهارْ
أكتب كل يومِ
ملاحمَ النسورِ
وأبعثُ الأنينَ في الصخورْ
وأجعل الأفلاكَ لا تدورْ
ممتطياً بساطَ هذي الريحْ
أبحث عن نشيدِ

يبرقع الوجود بالأسى
يلون الأفلاك بالشجى
يحزن قلب الطير في الأجواءِ
ويجعل البحار كالصحراءِ
لم أعطك الكثيرْ
الميغُ هذا الطائر العجيبْ
يئنُّ يعْوِل يزأر يرمي الأفقَ بالشررْ
ينقض كالبزاهْ
ويرجم الأعداء بالدمارْ
ويجعل النهارْ
ليلاً تريع الرعبَ مقلتاهْ
الميغ قلبٌ حاقدٌ جسورْ
أعطاك عهد الوامق الأمينْ
عهداً كعين الماس في الصفاءْ
عهداً كقلب الأم في الوفاءْ
أن يشدو الملاحمْ

أن يزرع المآتمْ
لو أنني الخنساءْ
لو أنني جليلهْ
لو أنني جلجامشُ العظيمْ
يناشد الأشجارَ والأطيارَ والدروبْ
رثاءَ (أنكيدو) لأمْرعت الحياهْ
محاجراً دموعها قنابلْ
تنهالُ سيلاً عارماً أكولْ
النصر في تسكابهِ
والموت في إهابهِ
إكليلَ حبٍّ خالدٍ إليكْ
يزهو بمفرقيكْ!

***

الرصاصة القتيلة

هذي أنا الرصاصةُ القتيلْ
أطير نحو قاتلي وفي فمي تعويذتي
أبحث عن ضميره، أغوصُ في شعورهِ
علّي أرى للعطف تأكهْ
علّي أرى للحب خفقهْ
علّي أرى الشيء الذي ما شمتهُ
في الوجه.. في العيونْ
لكنني يا خيبةَ الأهواء والظنونْ
فمي على حجرْ!!
هذي أنا الرصاصةُ القتيلْ
تطلقني الأصابعُ العليلهْ
مللتُ عصفَ الريحْ

سئمت طعم الملح في الجروحْ
لا شيءَ يُدمي الروحَ كالأنينْ
لا شيءَ يُعشي العينَ كالقذى
أحسه موسَّداً في مقلتي
مفترشاً أوردتي
يا جنةَ الأبالسهِ
تملّكيني لحظةً
هنيهةً من عمري اللعينْ
يا لوثة المراح واليقينْ!!
***

التحدي

عبثاً قالوا كبا
مُهرُك الضامرُ والسيفُ الصقيلْ
مزَّق الجرحُ شباهْ
وغدت أيامُك الشقرُ بغايا
وتناسى المغرمونْ
ذلك الوجه الذي ينضح حباً وجنونْ
ثم ماذا؟
بعد أن شاخت لياليك الحبالى
وبكى القيثار مجروح الوترْ
مجدك المهزوم في وَضْح النهارْ
أيُّ معنى إن تصفَّحت الوجوهَ العابرهْ
وتفرّست مليّاً في السماءْ

ومددت الساعد المجبول من طين الشتاءْ
كلُّ هذا يتحدّاك لتنهضْ
خانك الصحبُ وسُمَّارُ الشرابْ
بعد أن صرت ركامات مهينهْ
ها هي الحسناء ترميكَ بنظرهْ
وبها إشفاق طوفانٍ مريعْ
أتراها عرفت عاشقها
ليتها ما عرفتكَ
ليتها أغضتْ وسارتْ
مثلَ باقي الناس تجترُّ الوجومْ
خلعتْ ذكراكَ كالضرس وألقتْ
برماد الحبّ في بحر الهمومْ
ثم قالتْ:
لا تعد في هجعةِ الفجر إليَّ
شبحاً أزرقَ مغبرَّ العيونْ
إن عشاقي هنا يقتتلونْ

وأنا أخشى عليكَ الموتَ، صبراً لا تمتْ
لم يزل في معبد الأحلام ذوبٌ من فؤادكْ
وبقايا ذكرياتْ
قبعت في الجانب الرطب تلوكُ الحسراتْ
وأنا؟
ماذا أنا؟
كلَّ يوم في طمى (الوحل) أغوصْ
ملّني الخمرُ وعافتني الكؤوسْ
نحن قلبان دحرنا وكبا
مُهرُنا الضامرُ في حُمَّى النزالْ
لم نعد نخشى الشماتهْ
ها أنا أفضح أسراري وعُريي
عفوكَ استرسلت أوغلتُ كثيراً
كل هذا لا يفيدْ
كل هذا لا يفيدْ!!

***

تحية إلى القاهرة

أعضُّ على الكبد المرهقةْ
أضمِّخها بالأسى
لأن الجوارح تأكلُ عينيَ كلَّ صباحِ
لأن الرياحَ العتيهْ
تزعزع أوتارَ أغنيتي المورقهْ
على كبري المستباحِ
لأني أنسج من وهْج عيني
أكاليلَ عشقٍ إليكِ
موشَّحةً بالجراحِ
وأنهد نحوكِ
بالوعيِ
بالروحِ

بالأمل المزمنِ
وبالخافق المدمنِ
على الحبِّ والبذلِ في كلِّ ساحِ
لأنك قبل الأساطير كنتِ
ملاعبَ للنور يا موطن الآلهةْ
ويا سدرةَ المنتهى
ويا سُدَّة الكون قبل المدى
ويا شرفَ العزة المرتجى
لأنك والنيلَ منذ الخليقةْ
عطاءاتُ كبرِ
عطاءاتُ نصرِ
عطاءاتُ فكرِ
لكلِّ حقيقةْ.

***

الغبار

وزمجرَ الغبارْ
يا صانعَ النهارْ
ينازعُ الضياءْ
طريقه المنوَّر الأرجاءْ
ويصفع العيونَ في جنونْ
والبؤبؤُ الحنونْ
أيحسبُ الغبارْ
يا صانعَ النهارْ
بأنَّ في قدرته أن يغمرَ البحارْ
والموج في عُتوِّه ينقضُّ كالجبالْ
ويجرفُ الأوحالْ
مَنْ يمنعُ الأنسام أن ترودْ

حدائقَ الورودْ
ويخنقُ العبيرَ في الهواءْ
أيحسبُ الغبارْ
يا صانعَ النهارْ
بأن في قدرته أن يحجزَ الأنوارْ
ويحشر الأقمار في فنجانْ
والعطرَ والألحانْ
عن مسمع الأكوانْ
طريقُنا طويلةٌ تكتظُّ بالصعابْ
وأرضُنا غنيّةٌ تحوطها الذئابْ
تروم منا ثغرةً لتشبَ الأنيابْ
ونحن في طريقنا نسيرْ
حيث المنى شفافة العبيرْ
والخصبُ كالبركانْ
في أرضنا من فورة الزمانْ
أيحسبُ الغبارْ

يا صانعَ النهارْ
أن تُهجَر الأشعارْ
وتُهجَر الأعشاشُ والديارْ!
والأرضُ في مدارها تمورُ بالأقمارْ
لن يفلحَ الغبارُ يا صانعَ النهارْ
مَنْ يمنعُ التاريخَ أن يدورْ
ويمنعُ البذورْ
أن ترسلَ الجذورْ
مشفوعةً بالدفء والنّوارْ
لن يفلحَ الغبارْ
يا صانعَ النهارْ..!!

***

الحزن

أشعرُ أنَّ الحزن يغطّي السهلَ يغطّي الوعرْ
يغطّي ساحاتِ الأيامْ
ويدقّ يدقّ جدارَ الأفقْ
هذا الوحشُ الأزلي الرابض في الأعماقْ
الآكلُ ثديَ الأمْ
الجاعلُ ضحْكَ الأطفال بكاءْ
ما يصنع هذا القلب الشيخ الواسعُ كالآمادْ
أيظلُ يلوك الحزنَ ولاتَ قرارْ
الخمرةُ همٌّ لا يبلى
ونعبٌّ هموماً فوق هموم
والعالم دولابٌ محمومْ
يجترُّ الوهم يخوض الحرب يرودُ الشهبْ

هل بعد الشهب تخومْ
لو أن البحرَ يقصُّ حكايا لم تُكتبْ
لكنَّ البحرَ ضنينْ
البحرُ كتابٌ لم يقرأْ
لو أني أعرف سرَّ البحرْ
آهٍ لو أعرف سرَّ البحرْ
لكتبتُ على الأفق قصيدهْ
أوجزتُ بها حزنَ الإنسانْ
وأرحْت ملايينَ الصلبانْ
وجعلتُ النار تُبيد الهمْ
لا جرحاً يهصر قلبَ الأمْ
الخوفُ خناجر مسمومهْ
وأفاعٍ تعتصر الأحناءْ
والليل وساوس تفري الصخرْ
والصبحُ حديثٌ مكرورْ
وضمير يعرف معنى القهرْ

ما أتعسَ قلبَ النطفة في رحِم الأيامْ
النطفةُ تعني الحبَّ الشعرَ الفكرْ
النطفةُ أشواقُ الأعماقْ.
لو تدري النطفةُ أن الحزنَ غذاءْ
صارت رفضَ التوق إلى الأضواءْ
الكلُّ يترجم سرَّ السرْ
بحرانِ وعربدةُ الأنواءْ
بحرانِ وعربدةُ الأنواءْ!!

***

الحضور الدائم

شُدَّني شُدّني إليك اختصرني
واعتصرني
جسداً ظامئاً وخمراً شهيا
وتفيأْ محاجري.. شفتيا
فهْي أدرى أحنى على التوق مني
أيُّها الممرعُ الصحارى اخضرارا
يا مذيبَ الثلوجِ عن كاهليّا
قبل أن يُولد الضياءُ بعيني
كنتَ حرفاً ممنعاً وشراعا
كنت سَبراً أغوص باعاً فباعا
وأنا اليوم شهوةٌ تتلظَّى

لا تنلْ مقلتي اللعوبةَ غمضا
وانضُ جلدي مزّقه دسَّه احتقره
أنه شاخَ ما غدا اليوم جلدي
لا تَسلني وخُذْ لديَّ التّحدّي
أنا أهواكَ فاجراً ورسولا (7)
وانعتاقاً وبهجة تتجددْ
أنت أبقى مِنَ الخلود وأبعدْ
لا تماري قبل الوجود التقينا
وشربنا ذواتَنا.. ما ارتوينا
ولكم كنتَ بالرؤى تعتصرني
أنا أرجوك يا ضيائي اختصرني
وأنلني
ما يتوق العهرُ الأبيدُ إليهِ
يزهر العهرُ غبطةً في دمائي
يورق العهرُ في ضميرِ النقاءْ
لا تقل لي كنا وكان الزمانْ

رفَّة غضَّة على هُدب طفلِ
سلني ما شئت ما عليك تدللْ
لا تدعني على اللظى أتبتَّلْ

***

الهلام

لننسى أننا كنّا
حبيبينِ
صديقينِ
رفيقينِ
ونمحو كلَّ ماضينا
وكل هنيهة مرَّتْ
كما يمحو الصباحُ الطلق ليلاً جاهم العينِ
أنا ما عدتُ يا طاعونُ ذاك العاشق المضنَى(8)
أنا النسرُ الذي زحمتْ جناحاه
جبينَ الأفقْ لا يخبو له عزمُ
وأما أنتِ
أما أنتِ

شلاَّل من الإثمِ
وشيطانٌ
تبلَّد حسُّه وانهار تحت بوارقِ الوهمِ
لأي مدى
لأي مدى
وتستجدين عطف الناس بالمتعةْ
وأي الناس يا طاعونْ
هلامٌ كالنفاياتِ
طحالبُ تعشق الظلمات في قعر المحيطاتِ
فعيشي مثلما تهويْنِ تحت براقع الطهرِ
فإن الطهرَ كالعهرِ
وقيئي السمَّ
قيئي السمَّ
في رئةٍ من الطينِ
فسمُّك لم يعد يجدي
لأن سمومَكِ الخضراءَ كاذبةٌ

كعينيكِ
وكالخال الذي تعطيه من ماضيك ألوانا
فصوني العهرَ
صوني العهرَ
جلَّ العهرُ كم هانا

***

صمت النحيب

أنا والمدى
لا لونَ لا طعمَ لا رائحهْ
يضلُّ بنا الوهمُ حتَّى العياءِ
وحتى الظنونِ
تجرجر أحزانها نائحهْ
تَوسَّدنا الشك عبر القرون
فلا دمعة من سرابٍ
تلم بنا لحظةً
ولا قبس من شهابِ
أنا والمدى
نعبُّ الفراغَ
نعبُّ احتضار الزمنْ

تعبنا من الغوص، ملَّ اصطبار المنى
نجدِّف نحفر في اللاهدوءِ
نولولُ
آهٍ من يسمع صمتَ النحيبِ
يدوي يمزق صدر النجوم
خسرنا.. أجل يا لعمق الجراحْ
دُحرنا فلا كان ذاك الصباحْ
لقد سمَّر النصرُ جزَّ النواصي
وأجهض عنقاءنا الغاليهْ!
أنا والمدى توءمان
سنمضي نلمُّ الشظايا
ونصنع منها
عزائم تذهل هذي الغزالهْ
ونجدل منها
أكاليل نارِ
نَسارينُها مهجٌ هاتفهْ

هَبُوا الأفعوانة[1] قبراً مريحا
وسيروا بها خاشعينْ
أضيئوا لها شمعتينْ
ورشوا الحدائق فوق الضريحْ
وقولوا استراح المدى
وقلبي الجريحْ!!

***

1

الأفعوانة: يقصد بها الشاعر إسرائيل.

سمو

سموتِ إليَّ فوق الشك طاهرة كأعماقِ
المحيطاتِ
وكنت براءة المفتونْ
أغوص أغوص في ذاتٍ ملفعةٍ
بنيرانٍ مقدَّسةٍ
وأسرارٍ مقفَّلةٍ
وجناتٍ على أعطافها انسرحتْ
رشاقةُ سحرك النسوي
وفيضُ جلالك الممتد كالأزلِ
وعيناكِ
أنا المنهار في بحريهما نغما
تهدَّج بالشجى العلوي منهمرا

تموَّجَ في فمِ العشاق أفراحاً وأحزانا
يرفُّ على رحاب الأفقِ يرسم اسْمكِ المحفورَ
في نظري
لأني لا أرى غيرَهْ
عرفتُ الآن بعد الوهن أنك قوَّتي العظمى
وأنتِ الجانبُ المقصوص مِنْ وعيي ومِن وهَجي
ومن شعْري ومن لُجَجي
فتحتُ نوافذَ الأحلام والأوهام للشمسِ
التي أنتِ
ورحتُ أمدّها بالحبِّ علَّ الحب يجذبها
لأن الحب عذَّبها
وأرهَقها مدى ما يحمل الإنسانُ من عَنتٍ ومن قهرِ
ومن أشياءَ تُدمي الروحْ
ومن ترنيحة المجروح فوق شبا
نصالِ الظالمِ الجبار في وطني
ومِنْ مَين يعاف الصخرُ ظلَّ رؤاه
*

فتحت نوافذاً عذراء ما قدَّرت أفتحها
حرصتُ عليها حرصَ الطفلْ
على أسرارِ دميتهِ
وقلت إليكِ قلت إليكْ
خذي الحرية المثلى وحرّيتي
فأنت تنفُّسي. رئتي
فلا ترمي بها للريحْ
امنحيها الدفء من عينيك من نهديك من
راحات كفيكْ
امنحيها بعض ما ترجوهْ
وقلت إليك قلت إليكْ
امنحيها لحظة المبهورْ
امنحيها نشوة المنصورْ

***

انعدام الظل

عندما يُطفأ بدرٌ عبقريٌّ
بين أفلاك حيارى
وجبين الشمس تعلوه بقاع من همومْ
تتجلين كما أنت على الأفق العظيمْ
أمل الدفء وأفراح النجومْ
عندما ينعدم الظل وتُنفى الذكرياتْ
والأسى يفترش الأرضَ وأحداق الزمنْ
عندما تبدين في شعرك زهرهْ
وعلى الثغر ابتسامْ
وبكفيك بلاسمْ
ينجلي السر وتنهار الطلاسمْ
***

الجرح

أيها الجرح الذي يسبر غوري
أنا أهواك عميقاً
أنا أهواك رفيقاً
يا احتضار النَفس الممتد في الليل المؤرقْ
عاشق أنت عصي النوم مثلي
شُدَّني نحوك كي تغفو شجوني
فوق نيرانك يا جرح الأساطير العجيبهْ
ها أنا ألثم منك الثغر جمرا
شُدَّني نحوك مزهواً بشاعرْ
حمل الحزن وأفراح الحياهْ
شُدَّني زورقَ حبٍّ أزليّ
غرق البحر بآذيّه فتاهْ
وعلى أهدابه السمر رماهْ

***

الأفق

على صدريَ الأفقِ نامت جيوش الأسى
ورفَّت تراتيل حبٍّ قديمِ
مزاميرها بسمة من فمٍ
تلظّى تمنّع جُنّ الحنينْ
بترياقه واستشاط الجنونْ
تمنّى لو أنَّ عصارته الموجعهْ
استحالت شظايا
على كبد صاغه المطلقْ
نَسَارين. حباً. وصدقاً. وشعراً
وملحمةً للجمال الحزينْ
على صدريَ الأفقِ هيّا تعرِّيْ ارقصي وقولي
للزمان الأثيمْ

جحدتكَ لا لن تمسَّ بناني
فقلبي سجنٌ وفيه سجينْ
كلانا ارتضيناه جنةَ إثمٍ
وملعبَ حبٍّ كبيرٍ عظيمْ
هو الإثم أعمق منكم وأسمى
وأصدق فحوى
وأنقى ضميراً وأندى جبينْ
على صدريَ الأفقِ نامي
ففيه حكايا
عن النخلة السامقهْ
عن الزهرة العاشقهْ
عن الدمعة المرَّة الساذجهْ
فنحن خلقنا
لنحيا حياة أكيدهْ
ونفنى فناء أكيدا
***

وتسألني أهل أحببت

أجلْ! أحببتُ عاهرةً
كثغرِ الوردِ يَعبق بالملذّاتِ
بكلِّ جوارح الملتاعْ
بذلتُ لها
براءاتي
وزلاّتي
وقلباً دافئ الخفقاتْ
وشعراً
زاخراً بالوجد بالتحنان بالنجوى
بكلِّ لواعج الشكوى
وكنتُ صريعَ ذاك الخال يا اللّه كم شفةً
تقبّلهُ

تمزِّقهُ
وكانت غيرتي العمياءْ
كالطاعون في جسدي
وكنتُ الدائنَ المديونْ
ومازالت فواتيرٌ
لديها لم أسدِّدها
وغاصت في خضمّ الإثم تذوي كلَّ ثانيةٍ
وأجهلُ أين كوكبها
وتسألني أهل أحببتَ؟
هل أحببت ثانيةً؟؟
أجلْ!! أحببتْ
أجلْ أحببتُ طاهرةً معتقةً
ممنّعةً
أحسُّ بأنها قدَري
وأن طراوة الأحلام من عمري
هديةَ عابرٍ كالريحِ

في دنيا مفاتنها
هدية خاسر دنياهُ
إلاَّ من بشاشتها
وإلا من أنوثتها
هي الزادُ الذي
يقتات من تِرياقه كبدي.
دعيني قلتُ من ماضيَّ وانفتحي
على القلب الذي أهوى
لأنظر فيه أين أنا...؟
وأغرس فيه سنبلةً
وكوكبةً من الذكرى
هي الذكرى
غذاء الروح أن ضجَّت بها الإحَنُ
هي الذكرى

***

العودة

ترحَّلتِ.. عدتِ اكتنزتِ الرؤى والزمانْ
وأبحرتِ بالمدن المالحهْ
ترى أي جرح تركت على الشطِّ
أيَّ رذاذ حزين؟!
ترحّلت كالطير جبت المتاهات عدتِ
وفي العين شؤبوبُ دمعٍ يبيسٍ
تعبِّين خمراً ذليلاً
وأنتِ احتضار الزمانْ!
لم الضحكةُ الثّرَّة القهقهاتْ
يطير بها الريحُ مَنْ يسمع الضحكة الحاقدهْ
يرددها القلب جرسَ المحبينْ
فلا تجزعي يا أحبَّ الظنونْ
هنا مَن يشتري الحزن، العياء، الموت،

الذبول، المآسي، الجنون
ترحلتِ حلماً أثيراً عصيا
تعلق بالجفن يروي الأكاذيب يهوى الخيانهْ
توغلتِ فيَّ
ومرَّغتِ روحي على الإثم عاماً فعاما
وجرَّحت فيه البراءهْ
هي الطعنة البكر عرس المحبين استراحتْ
توجّس قلبي الخير منها فأورق الخير نارا!
وها أنت عدتِ
وكلُّ الأيادي الدنيئهْ
تخصّك بالقطف يا وردة الذكريات المضيئهْ
وكل العيون الصفيقهْ
تقسقس لحمكِ
تزرع في العظم روح الشراهةْ!
ترحلتِ، عدتِ
أما تعبَ الراحلُ المستباحُ

أما نَفِدَ الزادُ زادُ المغذِّين الحيارى
أما تعبَ الكأسُ كأسُ المحبّين السكارى!
أنا المتعب الفرد
أضعت شكاواي،
تحملت نصل الجسارهْ
وترجلت عن سروجي أهديها ربحت شهد الخسارهْ
ترحلتِ ما أتعس الراحلين
طيوفاً من الوهم حمر المناقير بيض الجناحِ
إلى شاطئ الدرّ أضعتِ كنوزكِ فوق الرمالِ
وها أنتِ عدتِ
وماذا لديكِ سوى الآه تحفر في المهجة الذابلهْ
وألف سؤال!!

***

الطفلة العجوز

ما بالها الريح الجنوبيهْ
تطحن في أنيابها البروقَ والرعودْ
وتزرع السمومَ والقيودْ
تحمل في أردانها تنِّينها العجوزْ
مهشَّمَ الإباءِ والعيونْ
الجرحُ في جبينه ينزُّ بالصديدْ
والنارُ في ضلوعه مسعورة الأزيزْ
هل تعلمُ الرياحُ والبروقْ
بأن أرضاً ثرَّة العطاءْ
تفتَّحت مسامُها
واحتضنتْ سهولُها مراشفَ الأنداءِ
والصبوة المؤبَّدهْ

ترشَّ درب الحب بالضياءْ
ألحانُه نهودْ
والشِّعر أفقٌ أخضرُ
ضجت حنيناً وهوى
لشرفةِ الخلودْ!
مَنْ جرّح القصيدهْ
وصبَّ في حروفها الدمارْ
وخاطَ جفنَ العزة التليدهْ
بإبر من نارْ
مَنْ رام سحقَ الدرَّة الفريدهْ
وقوقع النهارْ
من شقَّ قبرِ العزة الشهيدهْ
ليعبر الغزاهْ
ما بالُهم قد هربوا!
ما بالُهم قد خَلَّفوا!
عتادَهم في ساحةٍ تتوق للدماءْ

لو جُسِّد الفَخارْ
لأترع الرمالَ قهقهاتْ
تبصقُ في ظهورهم
تقيءُ في أصلابهم
ذلاً مدى الحياهْ!
الطفلة العجوز لن تموتْ
لأنها تجسِّد الرغابْ
ترقصُ كل ليلة عاريةَ الإهابْ
على ضفافِ الأنهرِ الحبيبهْ
تهدِل للصباحْ
وتُسكر البطاحْ
وتكسِف الشموسْ
برفَّة الرموشْ!
لو صحَّت الظنون يا حبيبتي لمتُّ من زمانْ
خلف الكوى المخضَّبهْ
بالتبغ والصديدْ

ولاستراحَ الدفقُ في الوريدْ
وعشَّش الغرابْ
في الرئة المحببهْ
وأورقت دموعْ
في جبهة القمرْ
وانغرست أظافُر القرصانْ
على صخور الشاطئ الحبيبْ
وديست العيونْ
بأرجلٍ شعورها
قد سقيت سمومْ
وانفرطتْ أغنية على شفاه حاصدٍ بسيطْ
يقدِّس الترابْ
ويعشق البذورْ
واحترقت في الأفق غيمتان
يا طالما قد أعطتا الندى
للورد. للشذى!

لو صحَّت الظنونُ يا حبيبتي لانقرض الزيتونْ
من غابة الزيتونْ
والنورُ في أفراحنا يغصُّ بالغبارْ
وانتحر النهارْ
والنحلُ يجني الشوكَ والزؤانْ
وغادتي المبرَّجهْ
وحيدةٌ يعصرها القرفْ
ويكتب التاريخ من جديدْ
بمزق الحديدْ
لكنْ ظنون السادة البعيدْ
ماتت كما يموت الدود في الجليدْ

***

أوردة الحديد

إني فقدتُ طهارتي
وطهارةَ الأشياء في وقت المخاضْ
وفقدتُ لونَ نواظري
أنكرتُ وجهي ذلك الغجري يقتحم الصعابْ
حتَّى وجوه الناس في وضح النهارْ
ومشيت أختصر الطريق إلى الجحيمِ
يشدني ألق الأوارْ
أستاف من جمراتها
أنداحُ في حجراتها
وأصافح الطاوين في ذاك الدوارْ
ما عدت ذا القلب الرقيق أفرُّ من وهج الدماءْ
النارُ حوَّلت الصخورَ إلى رمادْ

وجماجمُ الرواد كلَّلها الخواءْ
وخليلة الأمل المضمَّخ بالعفافْ
سقطت ببئر شراهةِ العشاق تمضغها الشفاهْ
ذابت كضرسِ الملح في بحر الرزايا الرازحاتْ
وأراها تبسم لي تودُّ كأن تقولْ
كلُّ الفصول كئيبة كل الفصولْ
هل ثم بعد اليوم عطر للبغايا السائباتْ
أم أن في جعب الزمان بقية من ذكرياتْ
لحشاشة بقيتْ وراحت تستجيرْ
النار حوَّلت الصخورَ العاصياتِ إلى رمادْ
دعني فقد أنكرتُ هذا الوجه من زمن بعيدْ
لا شيء يحملني فأوردتي حديدْ!

***

تبسمي

هذا أنا أبعث من جديدْ
وانتضي حسامي
وأمتطي مُهراً يبزُّ الريحْ
وفي دمي
أكسيرك العظيمْ.
وفي فؤادي يكبر الزمنْ
وتُولد الأقمارْ
أقمارُك الخضراءْ
يا فتنة الآصال والأسحارْ
هذا أنا أنهد نحو الخصبِ
أحمل بحر الحبِّ
كنوزُهُ عجيبةٌ

جنانُه تسخر بالجنانْ
أورادها تفتحت مبرَّجهْ
بسحرك المنهل بالضياءْ
يا لهفة الأحياء والأشياءْ
تبسَّمي يرتعش الحجرْ
وتنبت الرياض في القمرْ
أيتها المتشحهْ
بمقلتي
يا أيُّها السرُّ الذي أجهلهُ
أعرفهُ
سرقتني
من صحوتي
هذا أنا وصلتُ تحت الشرفةِ
شرفتك الأثيرهْ.
وفي فمي شبَّابة الأزمان والعصورْ
خبَّأت في أحنائها

لحناً لعينيكِ
لحناً لنهديكِ
للإصبع الصغيرْ
في القدمِ الحريرْ

***

رياح المآسي

أقول اهدئي يا رياح المآسي
دعي الهجمة المرةَ الكاسرة
وكوني نسيماً عليلا
على قلب شاعرْ
تعشَّق سوسنةً باسمهْ
تعشَّق قبَّرة حالمهْ
تعشَّق لونا
تعشَّق أنثى ودنيا وكونا
تعشَّق جدل المعاني الفريدهْ
قلائد حبٍّ تغلغل بالدم وهجاً وعصفا
وأدلج أدلج بالمستحيلْ
وأوغل أوغل بالمطلقِ

وأجهر بالصوت لا موجساً
تعالي نَعِشْ لحظةً
تعالي نَمُتْ لحظةً
تعالي لنصبح أسطورةً
معلقة بالفضاءِ
أقول اهدئي يا روحَ المآسي
فقد تعبَ البحر من زورقي
وكاد يحطم سكَّانَهُ
وقد يغلب اليأس ربانَهُ
يرى الشاطئ العسجدي الأصيلْ
يداعب بالشوق أجفانهُ
هناك على رمله المخمليِّ
تجلَّى له الحلم حلمُ العظامِ
بكل مفاتنه السافرهْ
بكل عطاءاته الغامرهْ
بكل عواطفه الطاهرهْ

يلوح للمبحر التائهِ
تعال انتظرتكَ منذ الخليقة (10)
انتظرتك ما إن مللت انتظار
انتظرتك طفلا
انتظرتك كهلا
انتظرتك والقيد في معصمي
انتظرتك والحب يشوي دمي
تعال انتظرت انتظرت انتظرتْ
أنا المبحر المزمنُ
أنا الموغل الممعنُ
بكل خلايا الزمانْ
أنا الحب عبقرية الليالي الطويلهْ
أخوض لظى المستحيل
أبرعم صخرَ القلوب الكليلهْ
نسارين أنقى من الدمع في المقلة العاشقهْ
من الهمسة الدافئهْ

يبوح بها مولع بالهوى
وقد أجَّ في مقلتيه الجوى
أنا المبحر المزمنُ
جمعت الحكايا
جمعت اللآلئ
جمعت أساطير لم تنجَلِ
وخبأتها في الضميرِ
أجود بعذرائها خاشعاً
لثغر تعتق فيه العبيرُ

***

نداء

لأني من صميم القلب والنجوى أناديكِ
وأزرع وجهكِ الريان في بدني
طيوفاً كانتهاك العطر حرمةَ جسمكِ الوثني
تغوص به مؤنَّقهْ
وتنهبه مصفِّقهْ
وتنعم في تموّجهِ
وتلثمه بأشواقٍ مروَّعة مغامرةٍ
وتخشى من شواطئهِ
لوَ انِّي كنت في الأعماق لؤلؤةً
شببتُ شببتُ واستلقيتْ
على الصدر الرجيمي
بصدق جحيمهِ أشوَى

ومن لفحاتهِ أُروَى
وأهجع فوقه كالطفل أستدنيهِ من كبدي
وأخبره بأن الحب فوق الأم والولدِ
لأني كافر بالقيد بالإكراه بالخطلِ
لأني مؤمن بالحب بالإيثار بالقبلِ
تعالي نعتلِ شرفات هذا الكون كي يسمو بنا الأملُ
تعالي دونما خجلِ
وعن ماضينا نرتحلِ
وكوني يا ابتسام الحب كوني مثلما أنت
زهواً شامخ القسماتْ
وفجراً ضاحك البسماتْ
فأنت توهُّجُ الأنَّات في صدري وفي مقلي
وأنت ترنُّم الهمساتِ في خلَدي
وأنت تواثب الأحلام أنت فتوَّتي ودَدي
***

نهر الإبر

أختبئ خلف إصبعي والزمان وأنت
شارة الحزن في الجبينْ
راحل والهوى معي
كلُّ زادي حقيبهْ
ملءُ أحنائها الذكر
وشظايا قصائدي
عبر نهر من الإبر(11)

الهوامش:

1 ـ في ط2 ص 8. سقطت (تروى).

2 ـ في ط2 ص 8، يتلوّى بين زنديه أفاعٍ ومرايا.

3 ـ في ط2 من 25 سطر نقل من موضعه ليصبح الترتيب:

(حوّلوا نهر الليالي الظالمة)

بلحاً، قمحاً، أزاهير، نوافج

4 ـ في ط2، أصبح العنوان:

رسالة إلى الأمين العام للأمم وأحرار العالم.

5 ـ في ط2 من 47، تحوّل السطر:

أكتب إليك يا حبيبتي دمعتين

(وكان السطر في ط1 يتضمن تكرار إليك:

أكتب إليك يا حبيبتي إليك دمعتين).

6 ـ في ط2، أضيف السطر:

بأن في قدرته أن يرغم الأطيار .

7 ـ في ط2، ص 82:

أنا أهواك عاهراً ورسولاً

8 ـ في ط2، ص 86:

أنا ما عدت يا غيداء ذاك العاشق المضنى.

9 ـ في ط2، ص 92 ضبط (نوافذاً).

10 ـ في ط2، تداخل بتقديم وتأخير في السطور.

11 ـ النص مدوَّن على غلاف ط1 الخارجي.

المحتوى

مصطفى بدوي حكايات ترحال بين الأمكنة والكلمات.....5
متعَبٌ وجه المرايا - هذا الديوان.....57
النشور الواحد بعد الألف 63
الهجرة في دمشق.....68
اللحظة الشرسة 72
رسالة.....77
أغنية القدس.....82
على ذروة المستحيل 84
دمعة إلى القنيطرة.....88
إلى الجندي العربي.....91
إلى روح الطيار الشهيد.....94
فايز منصور.....94
الرصاصة القتيلة 98
التحدي.....100
تحية إلى القاهرة.....103
الغبار 105
الحزن 108
الحضور الدائم.....111
الهلام 114

صمت النحيب.....117
سمو.....120
انعدام الظل.....123
الجرح.....124
الأفق.....125
وتسألني أهل أحببت.....127
العودة.....130
الطفلة العجوز.....133
أوردة الحديد.....138
تبسمي.....140
رياح المآسي.....143
نداء.....147
نهر الإبر.....149

إصدارات سلسلة

كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم	اختيار	السنة
162	أبو الطيب المتنبي حياته وشعره	فلك حصرية	فلك حصرية	2021
163	آرائي ومشاعري	أ.عيسى فتوح	أ.عيسى فتوح	2021
164	ومضات (شذور وأمثال)	أ.سهيل الشعار	أ.سهيل الشعار	2021
165	الثورة رواية اجتماعية قومية	أ.د. فاروق اسليم	أ.د. فاروق اسليم	2021
166	الصعود المتعثر نحو الأمل	فلك حصرية	د. محمد الحوراني	2021
167	موسم الهجرة إلى الشمال	أ.سهيل الشعار	أ.سهيل الشعار	2021
168	المنسيون في التاريخ	فلك حصرية	فلك حصرية	2021
169	الحضور والغياب في المسرح السوري المعاصر	د. محمد الحوراني	اعداد د. إيمان تونسي محمد إبراهيم العبدالله ـ صباح الأنباري	2021
170	قصة الأرض	أ. ديب علي حسن	أ. ديب علي حسن	2021
171	زاهد المالح شاعر اللغة المرئيّة	د. نزار بريك هنيدي	د.نزار بريك هنيدي	2021
172	ثقافة الأطفال	فلك حصرية	فلك حصرية	2022
173	مختارات من روائع الثقافة والأدب	جودي العربيد	أ. سهيل الشعار	2022

م	عنوان الكتاب	تقديم	اختيار	السنة
174	نَفَثاتُ مَصْدورٍ وقصائدُ أخرى	سـراج جـراد	سـراج جـراد	2022
175	كوابيس بيروت	د. ماجدة حمود	د. محمد الحوراني	2022
176	ديوان إيليا أبو ماضي	صبحي سعيد قضيماتي	صبحي سعيد	2022
177	التذوق والجمال في كتابات الأشتر	د. عبد الكريم محمد حسين	د. عبد الكريم محمد حسين	2022
178	الشاعر المتنبي بين الشاعرين حامد حسن ورضا رجب	محمد خالد الخضر	محمد خالد الخضر	2022
179	مختارات من أشعار رسول يونان	حيان محمد الحسن	حيان محمد الحسن	2022
180	ضريبة اللباقة	د.نورا أريسيان	د.نورا أريسيان	2022
181	لغة العرب	ديب علي حسن	ديب علي حسن	2022
182	الباحثُ والمؤرّخ الفُراتيّ عبد القادر عيّاش حياتُهُ وآثاره ويليه كتاب القمر في حياتنا وتراثنا	أ. سراج جَراد	أ. سراج جَراد	2023
183	أخلاق الأدباء أسمار وأحاديث	أ. فلك حصرية	أ. فلك حصرية	2023
184	صورة الآخر في التراث (نسخة معدلة ومختصرة)	د. ماجدة حمود	د. ماجدة حمود	2023
185	ما هو الشعر	سهيل الشعار	سهيل الشعار	2023
186	الشعر بنيةً وتشريحاً (تاريخ.. مدارس.. نقد..)	تأليف: حامد حسن		2023
187	في الميزان الجديد	أ.د. أحمد علي محمد	أ.د. أحمد علي محمد	2023
188	رباعيات أنور العطار	نزار بني المرجة	نزار بني المرجة	2023
189	هؤلاء علموني	جودي العربيد	سهيل الشعار	2023
190	فن الحرب /"الكتاب المقدس للدراسات العسكرية"	عيد الدرويش	عيد الدرويش	2023
191	غسان كنفاني أدب	أحمد علي هلال	أحمد علي هلال	2023

م	عنوان الكتاب	تقديم	اختيار	السنة
	المقاومة في فلسطين المحتلة			
192	اليهود أنثروبولوجيّاً	ديب علي حسن	ديب علي حسن	2023
193	جراح تغني	محمود حامد	محمود حامد	2024
194	إبراهيم الخليل.. صفصافةَ الشّرق.. مولاي!!.	د. حمدي موصللي		2024